

مَجَلة شَهرِيَّة اسْلاميَّة أَدبيَّة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٤)	ذو القعدة ١٤٣٣ هـ
العدد العاشر	أكتوبر ٢٠١٢ م

المشرف العام — **عبد الله سعود بن عبد الوحيد**

رئيس التحرير — **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صوت الأمة** بی ١ / ١٨ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراك باسم:	دار التاليف والترجمة، ريوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراك السنوي:	في الهند (١٥٠) روبية، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخة (١٥) روبية

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

السيد نواب صديق حسن خان في حياته العائلية

(٢)

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

الاستجابة للنداء النبوي: فاظفر بذات الدين:

بعد انضمام القنوجي إلى موظفي مملكة بهوفال في دوره الثالث بدأت حالته الاقتصادية تتحسن يوما فيوما، كما أن المسئولين في الدولة أعجبتهم مكانته العلمية وشخصيته الفذة وجهوده الجبارة إلى جانب صدقه وإخلاصه وأمانته، فأصبح له في قلوبهم منزلة ومكانة وحاز على ثقتهم وإعجابهم وتقديرهم.

لقد كان بإمكان السيد القنوجي أن يستغل هذه المكانة الاجتماعية والاقتصادية في اختيار شريكة حياته طبقا للمواصفات التي اعتادها أبناء زمانه وأبناء كل زمان ومكان -الا من رحم الله- من الاكتفاء بالمال والجمال والحسب والنسب وإلى غير ذلک من المقاييس التي لم يستحسنها الشرع ولا العقل السليم. بل الدين والأخلاق والصلاح والعفة هي المعايير التي اعتبرها الإسلام وحض عليها، كما يقول الرسول ﷺ: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداک". (متفق عليه)

أقول: رغم توفر كافة الوسائل المادية والمعنوية تزوج القنوجي رحمه الله بامرأة تتصف بأنها:

- أرملة
- ذات أولاد
- تكبر منه في السن ٨/سنوات على الأقل

ولننظر فيما سجله السيد القنوجي بيده عن هذا الزواج، يقول:

"... لما رأيت (الشيخ جمال الدين) مدير شؤون المملكة موحدا، حسن العقيدة، تلميذا للشاه محمد إسحاق، مواليا لأسرة الشاه ولي الله المحدث الدهلوي عقدت القران مع ابنته الأرملة". (إبقاء المنن ١٢٢)

ويقول في موضع آخر واصفا لهذه المرأة:

"..هذه المرأة موحدة، حسنة العقيدة، سخية النفس، لينة القلب، مواظبة على الصوم والصلاة وتلاوة القرآن، متدينة، محسنة ...... امتثلت عند العقد بها حديث الرسول ﷺ الذي قال فيه:

تنكح المرأة لأربع .... الخ.

ولقد اجتمعت فيها هذه الصفات الأربعة، ولكن احترزت من الاستفادة من مالها رغم سماحها وإذنها بذلك، أما حسبها فهو معروف، إنها كانت بنتا لمدير شؤون الدولة لكن مع ذلك كله لم أخترها إلا لأنها كانت "ذات الدين" ولولا ذلك كان حصول الفتيات البكر سهلا وميسورا". (المصدر نفسه: ١٢٤ــ١٢٥)

أما عقده الثاني مع الملكة شاهجهان بيغم فالملاحظ فيه أيضا أن الملكة كانت:

- أرملة
- ذات أولاد

وإنها هي التي اختارت السيد القنوجي زوجا لها، ورضيت بأن تدخل في كنفه كضرة لزوجته الأولى السيدة ذكية بيغم. (انظر: ابقاء المنن ص ١٢٧، مآثر صديقي: ٢/٨٨)

ولا يخفى أن الملكة شاهجهان بيغم كانت ذات دين وعلم وفضل، غنية عن التعريف، فالملاحظ ههنا أن السيد القنوجي - رحمه الله - آثر الزواج بهؤلاء الأرامل على الزواج بالأبكار رغم توفرهن ويسر الوصول إليهن، وذلك لأسباب؛ أهمها:

١- كونهما ذوات دين وصلاح
٢- كونهما أرملتين

وتزداد أهمية هذا السبب الثاني عندما يطلع الناظر على التقاليد التي كانت تسود في المجتمعات الإسلامية آنذاك فيما يتعلق بزواج الأرامل، حيث تسرب إلى المسلمين بسبب فشو الجهل وقلة المبالاة بالدين من تقاليد ورسومات الهندوس شيء كثير، منها: منع زواج الأرامل، فمعظم المسلمين في ذلك الزمن كانوا يعتقدون تحريم زواج الأرامل ويتأنفون عنه، فأراد السيد القنوجي رحمه الله القضاء على هذا التصور الخاطيء والاعتقاد الجائر، وأن يهمس بعمله هذا في آذان هؤلاء المخدوعين بجواز بل باستحباب زواج الأرامل، وأنه لا غبار عليه شرعا.

إنها تضحية كبيرة وفي الوقت نفسه دعوة عملية عن طريق القدوة.

وما أحرى الدعاة أن يتخذوا هذا النوع من أساليب الدعوة في حياتهم.

الالتزام الدقيق بأداء نفقات الزوجات رغم استغناءهن:

كان السيد القنوجي رحمه الله مفطورا على الزهد والرغبة عن الدنيا وزخارفها، وكان من أكبر أمنياته أن يعيش على قدر الكفاف، ولكن الحياة العائلية لها متطلباتها واحتياجاتها،

وقد يتسبب قلة المبالاة بالجانب المادي تفريطا في حق الزوج والأولاد وتضييعا لهم في دينهم ودنياهم، الأمر الذي حذر منه الشرع وهدد الواقع فيه بالمؤاخذة كما في الحديث النبوي:

"كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت".

والناس في هذا صنفان: مقصر ومفرط.

فصنف التزم جانب الزهادة والقناعة وبالغ فيه حتى إنه لم يلتفت رأسا إلى الجانب الآخر، الجانب الذي يطالب الكد والكدح وابتغاء فضل الله للإنفاق على من جعله الله مسئولا عنهم.

وصنف صرف جل همته وغاية جهده في جمع حطام الدنيا وملذات الحياة وترفيه عياله وأبنائه بالوسائل المتنوعة، صارفا النظر عما حذر منه الشرع من الافتنان بالدنيا والاشتغال بزخارفها.

والطريق السوي بين هؤلاء وأولئك.

وقد أدرك السيد القنوجي رحمه الله خطورة موقف كل من هذين الصنفين، فتوجه -رغم ميله إلى الزهد- إلى الكدح والاكتساب صيانة لعياله من الضياع وامتثالا لأمر الشارع في هذا الصدد.

اسمعوا ما يقول:

"لو لم أكن ذا أزواج وأولاد أو المسئول عنهم في تحصيل المعاش وتدبير المنزل لاكتفيت بما أنا عليه من الزهد والقناعة". (إبقاء المنن: ١١١)

وفي موضع آخر:

"لو لم يكن في ذمتي مصارف الوالدة والأخوات قبل الزواج، وتربية الأولاد بعد الزواج لأرجو أنني اكتفيت بما يسد به رمق الحياة وجنبت نفسي عن هذا الابتلاء". (نفسه: ١٤٠)

رحم الله القنوجي إذ استجاب إلى مطالب الدين والدنيا معا، ولم يهمل أهله وأولاده بالإغماض عن كفالتهم مائلا إلى الزهد الذي يتجاوز الحدود المشروعة، ويورد صاحبه المهالك، كما أشار اليه المصطفى ﷺ بقوله:

"كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت". (صحيح مسلم)

وبقوله عليه السلام:

"إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته". (ابن حبان في صحيحه)

وقد يظن ظان أن السيد القنوجي بحكم ارتباطه بزوجتين تنتميان إلى الأسرة المالكة اغتنم الفرصة للعزوف عن الكد والاكتساب، وأطلق نفسه عن مسئولية الإنفاق على الأزواج والأولاد.

كلا، بل إنه على العكس عن ذلك، ترفع عن أن يكون عبئا على من جعلهم الشرع عبئا عليه وأبى كل الإباء من الاستفادة من مكانة أصهاره المادية. اقرءوا معي ما كتبه في هذا الصدد.

يقول في معرض ذكر تزويج أخواته وأولاده:

"إن إقامة مصاهرة صالحة في هذا الزمن أمر في غاية من الصعوبة على الشرفاء، انني أرى أن الأزواج في هذه الأيام يستحلون أموال الزوجات ويأتون عليها بكل وقاحة، كأنهم لا يؤمنون بوجوب حقوق الزوجة عليهم من المأكل والمشرب والسكنى والاحتياجات الأخرى، مع العلم بأنه لم يختلف في هذا الوجوب أي فقيه حنفي، فكيف يجافي عن الاكتساب للإنفاق على الأهل والأولاد. إنه سبب كبير من أسباب فساد الأسر الإسلامية وانحطاط المسلمين.

إنني أذكر أنني لم أتزوج إلا بعد ما تأهلت ماديا عن طريق التوظف والاكتساب باليد والجوارح، ثم لم أزل -من بعد العقد- أؤدي كل مصارف الأهل والعيال من تحت ما في يدي، والزوجة وإن كانت غنية إلا أنني لم آخذ قط فلسا واحدا من مالها، كما لم آخذ من أبيها شيئا، بل إنني شعرت بالعار في أخذ شيء من والد الزوجة، ولم تطأ أقدامي حديقته لمدة اثنتي عشرة سنة، وكلما أراد تقديم شيء إليّ اعتذرت عن قبوله ولم آخذه، والسبب في ذلك أن النفس تشعر بالدناءة والعار من أن لا أوفي حقوق من تجب حقوقه الشرعية عليّ. ثم أصرف أمواله ومتاعه لنفسي بغير حق، وقد أغناني الله عز وجل -ببركة هذه النية- أكثر من زوجتي ووالدها، ولم يحوجني إلى أحد -غيره- ولله الحمد والمنة". (إبقاء المنن: ٢٢٤-٢٢٥)

ليس هذا كله ادعاء فارغا، بل التزمه السيد القنوجي بكل دقة واهتمام ولم يرض قط الحياد عن هذا الموقف، ومما يدل على ذلك على سبيل المثال لا الحصر، أنه أدى صداق زوجته الثانية الملكة شاهجهان بيغم الذي كان قدره خمسا وعشرين ألف روبية، أداه نقدا ومرة واحدة. (إبقاء المنن ص: ١٢٨)

وكان يسلم إلى الملكة شاهجهان بيغم ثلاثة آلاف روبية سنويا من رواتبه الخاصة كنفقة لها واجبة عليه، استمر على ذلك منذ العقد، ولما ترقى في وظيفته وعين بمنصب "أمير الملك" وازداد بذلك دخله أضعف ذلك المبلغ السنوي حيث بدأ يصرف إلى الملكة ستة آلاف روبية مكان ثلاثة آلاف روبية، ولم يزل يؤدي ذلك بكل التزام إلى أن وافاه الأجل المحتوم. (مآثر صديقي ٢/٩٤، إبقاء المنن ١٢٨)

(يتبع)

***

عبر ومواعظ:

اللسان وما فيه من العجائب

(٢-٢)

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

وقد جعل الله في الإنسان، في تجويف الفم عضلات وغضاريف اللسان الدقيقة وخلاياه العديدة، بالتعاون مع الحبال الصوتية، وغضاريف الحنجرة، وعضلات الوجه والشفتان على الكلام، لأن اللسان عضو لإحساس التذوق طعاما وشرابا، وقد أفتى العلماء: بأن الصائم يجوز له أن يتذوق الطعام والشراب بلسانه –ولا يبلعه– ليعرف صلاحه للاطمئنان، سواء للرجل أو المرأة.

أما في حالة الأكل: فإن اللسان يساعد الإنسان على تحريك الطعام، وخلطه باللعاب، لتسهيل طريق الطعام للبلع حيث يعطى اللسان للبلعوم إشارة عاجلة للانفتاح لينحدر الطعام بعد الخلط إلى المعدة، في حركة مرنة عند الإنسان، مع كل بلعة حدّدها اللسان، وتُسمى البلعة الغذائية.

فاللسان بما فيه من خلايا، له وظائف عديدة، وخير وظائفه النطق المعبر عما يريد الإنسان، وخير ما ينطق به: الذكر والتسبيح والتحميد لله، وقراءة القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسل الله وأنبياؤه وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم بلّغوا رسائل الله إلى أممهم باللسان كل واحد بلسان قومه، وقد يكون هذا اللسان نقمة على صاحبه، إذا استعمله في غير ذلك، لأن الملكين منكر ونكير يملآن صحفهما بما ينطلق به هذا اللسان، فعليه أن يختار لنفسه؟!

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعاني من التنزل شدة، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن يتفلت منه، يريد أن يحفظه –كما قال ابن كثير في تفسيره، فأنزل الله سبحانه: (لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه) (القيامة ١٦–١٩).

ولأهمية اللسان فقد جاءت لأهميته في كتاب الله الكريم أكثر من ٢٥ مرة، وفي الحديث وأقوال العلماء أضعافا كثيرة.

وقد جاء رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وسأله: "ما النجاة؟ يا رسول الله فقال له: أمسك عليك هذا — وأشار إلى لسانه — وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك" رواه البخاري، ورسول الله عندما أرسل معاذ بن جبل، إلى اليمن جاء في وصيته له: "أمسك عليك هذا" وأشار إلى لسانه، فقال معاذ: أنحن مؤاخذون بما نتكلم به؟ فأجابه الرسول الكريم بقوله: "ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم" رواه مسلم والترمذي وقال حسن صحيح.

أما لقمان الحكيم: فيروى عنه في اللسان والقلب قوله: ليس أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

وما ذلك إلا أن المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، كما جاء في الحكمة، فكم رفع اللسان من أفراد وأمم، وكم جاء العكس بفلتات اللسان، وموروثات العرب وغيرهم من الأمم تزخر بنماذج من ذلك، وفي خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما تولى الخلافة قال: اللهم ارزقني التفكر والتدبر، لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما حييت، إنك على كل شيء قدير).

ونجد المختصين في تتبع آيات الله وقدرته سبحانه، في اللسان وما فيه من أسرار يقولون: تختلف أجزاء اللسان، في درجة إحساسها الذوقي، فضلا عن حاسة النطق، ما هيأ له من مدافعة في الفم وحراسة عن كل ما يضر بالجسم، لأنه حارس أمين، فمقدمة اللسان تتذوق الطعم الحلو، ومؤخرة اللسان تتذوق الطعام المر، أما جانبا اللسان فيتذوقان المواد المالحة، والأحماض اللاذعة.

كما أنه يوجد في اللسان، مع صغر حجمه تسعة آلاف (٩٠٠٠) بُرعُم ذوقي، وما يختلط في العمل بعضها ببعض، حيث تتميز بها طعم الفاكهة بأنواعها، ويظهر التمايز بينها، وبين الخضروات من طماطم وخيار وخس وجرجير وغيرها من المأكولات والمشروبات من أنواع المأكولات والمشروبات العديدة، التي سخرها الله لعباده في الحياة الدنيا، فضلا منه جل وعلا، ومر بنا في حديث معاذ رضي الله عنه، أن اللسان قد يورد صاحبه النار إذا لم يحفظه. كما جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم دليلا على النفاق، وآية من آيات النفاق "إذا حدث كذب" وقد يخالف اللسان ما في القلب جزء من صفات النفاق، كما قال سبحانه: (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) فيوردهم المهالك، ولذا يقال للمنافق: ذو اللسانين، ويقال في المثل: كم كلمة قالت لصاحبها دَعني، وقد جعل الله سبحانه، اختلاف الألسن آية من آياته، التي تردّ على المعاندين لشرعه فيقول

سبحانه في سورة الروم: (ومن آياته خلق السماوات والأرض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (الآية ٢٢).

وقد اهتم المختصون بدارسة أجزاء الجسم، وربطوا اللسان بعلم التجويد وبينوا مخارج الحروف، والصوت، والأوتار الصوتية، واستفادوا من ذلك في تحسين الصوت، عند قراءة القرآن.

والعرب في مصطلحاتهم، وتعريفهم لمن لا يعرف اللغة، ولا يفهمون حديثه سموه: أعجميا، وقد نفى الله هذه الفرية عن النبي فقال سبحانه: (يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) (النحل آية ١٠٣) يقول ابن سعدي رحمه الله في تفسيره: عندما مر بهذه الآية في تفسيره: ومن عناية الله سبحانه بعباده، ورحمته بهم، أن قدّر الاختلاف بين البشر، لئلا يقع التشابه، فيحصل الاضطراب، ويفوت كثير من المقاصد والمطالب. ويقول سيد قطب في ظلال القرآن: عندما مر بالآية ٢١ من سورة فصلت: والآن وقد كُشف لهم عن سلطان الله في فطرة الكون، وسلطان الله في تاريخ البشر، يطلعهم على سلطان الله في ذوات أنفسهم، التي لا يملكون منها شيئا، ولا يعصمون منها شيئا، ومن سلطان الله: حتى سمعهم وأبصارهم وجلودهم، تطيع الله، وتعصيهم في الموقف المشهود، وتكون عليهم بعض الشهود، إنها المفاجأة في الموقف العصيب، بأن تتكلم وتشهد.

إنها المفاجأة الهائلة، فألسنتهم معقودة لا تنطق، وقد كانت تكذب وتفتري وتستهزئ، وإن أسماعهم وأبصارهم وجلودهم، تخرج عليهم لتستجيب لربها طائفة مستسلمة تروي عنهم ما حسبوه سرا، فقد يستترون من الله، ويظنون أنه لا يراهم، وهم يتخفون بنواياهم، ويتخفون بجرائمهم، ولم يكونوا ليستخفوا من أبصارهم وأسماعهم وجلودهم، وكيف وهي معهم؟!

وها هي ذي تفضح ما حسبوه سرا مستورا، عن الخلق أجمعين، وعن رب العالمين، يا للمفاجأة بسلطان الله الخفي، يغلبهم على أبضاعهم، فتلبي وتستجيب، وعندما يسألون جلودهم: لم شهدت عليهم، تجيبهم: (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء).

أليس هو الذي جعل الألسنة تتكلم: فهي الناطقة؟ وإنه سبحانه قادر أن يجعل سواها ناطقا، وقد أنطق كل شيء، فهو اليوم يتحدث وينطق ويبين [الظلال ٢٤: ١٢٦—١٢٧].

إنها قدرة الله وعظيم سلطانه، تبرز في أجسامنا، وهي في الشيء الذي نظنّه جمادا، فإذا هو يتكلم وكذلك المشروبات، وقد أكرم الله العرب، وجعل خاتم الأنبياء محمدا صلى الله عليه وسلم منهم، ونزل القرآن الكريم بلسان قومه العرب، ورفع قدرهم بأن جعلهم مطيعين مستجيبين

لدعوته، إلا من كتب الله له الشقاوة، كما سبح الحجر في كفه، وحنّ له لما استبدله بغيره، فنزل وضمه فسكن.

والمختصون في الأصوات ونبراتها، يوزّعون حروف الهجاء على أجزاء الفم واللسان وسموها مخارج الحروف، وهي أربعة عشر مخرجا، ومن صنع الله الذي أتقن كل شيء، فلا يخرج حرف مع مخرج حرف آخر، ولا تتشابه نبرة حرف، بنبرات حرف آخر، حتى يسهل التفاهم بين الناس، وحتى تمر حوائجهم بسهولة، كما هيأ سبحانه، المخارج الحروف، التي ينطقها اللسان، قدرة عجيبة، على التكيف، مع كل لغة يريد الإنسان دراستها، بحيث يتعود لسانه عليها، كما ينطقها أبناؤها، الذين مارسوها طوال حياتهم.

ولذلك فإن اللسان العربي المبين، كما وصفه جل وعلا، جعل ألسنة للناطقين بالعربية، قدرة على التكيف، وبسرعة أقل من غير أبناء الناطقين بغير العربية، مع قدرة على الاستيعاب، وراحة في الأداء، ومن مكانة اللغة العربية: أن الله سبحانه جعلها لغة المحشر يوم القيامة، كما جعلها لغة أهل الجنة.

وقد جاء في القرآن الكريم، كلمات أصلها لم تكن عربيا، وجاءت من لغات عديدة، كالاستبرق، والسندس واللؤلؤ والمرجان، والقسورة —التي هي اسم من أسماء الأسد، وغير ذلك كثير عربت لتتأصل في اللغة، ولعل هذا من عالمية اللغة العربية، واللسان العربي، حيث أن الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس للعرب خاصة، وإنما هو للخلق في المعمورة كافة: إنسا وجنا، وهذا من خصوصية نبينا محمد عليه السلام، حيث قال: أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي، ومنها وكان النبي يرسل لقومه خاصة، بلسان قومه، وبعثت لكافة الناس والثقلين الإنس والجن، ويوضح ما جاء في لسان الجن في السورة التي سميت باسمهم، وأجد من المناسب ختام حديثي بما ذكره ابن قيم الجوزية، بحفظ الله لهذا اللسان إذ قال: ثم إن الله سبحانه، أودع اللسان ما يحفظه، فجعل عليه سبحانه: غُلقين: أحدهما الأسنان والثاني الفم، وجعل حركته اختيارية، أما العين فجعل عليها غطاء واحدا، ولم يجعل على الأذن غطاء، وذلك لخطر اللسان وشرفه، وخطر حركاته، وكونه في الفم بمنزلة القلب في الصدر، وذلك من اللطائف، فإن آفة الكلام أكثر من آفة النظر، وآفة النظر أكثر من آفة السمع، فجعل للأكثر آفات طبقين، وللمتوسط طبقا، وجعل الأقل آفة بلا طبق.

واللسان وتصرفاته، يؤخذ على أن ذلك يدل على مكنون القلب، كما قيل:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

***

الفقه الإسلامي

حج المدين

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم الخضير
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض

الحمد لله الذي فرض على عباده حج بيته الحرام، وجعله الركن الخامس من أركان الإسلام. {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق}. وقيد وجوبه بالاستطاعة، دفعا للحرج عن الأمة، وإتماما للنعمة بالرخصة عند العجز {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا}، وزاد في التخفيف والتيسير فجعل وجوبه مرة واحدة في العمر وحسب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ قال: لا، ولو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم. الحج مرة، فما زاد فهو تطوع). أخرجه مسلم. فمن قدر على الحج لزمه أداؤه مرة في عمره.

وقد أوضح أهل العلم أن القادر على الحج هو: من أمكنه الركوب من غير ضرر يلحقه لكبر، أو زمانة، أو مرض لا يرجى برؤه، أو ثقل لا يقدر معه أن يركب إلا بمشقة شديدة، ووجد من النقد أو العروض أو غيرهما ما يحصّل به الزاد والراحلة اللذين يصلحان لمثله، لأن ملك الثمن كملك المثمن. فقد روى البيهقي والدارقطني عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل: {من استطاع إليه سبيلا} قال: (قيل: يا رسول الله، ما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة)، ورواه الحاكم من طريق آخر وثقه أحمد. وعن ابن عباس عند ابن ماجه والدارقطني نحوه. ولما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم) فقال: ما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة). قال الترمذي: "العمل عليه عند أهل العلم". ويعتبر أن يكون هذا فاضلا عما يحتاج إليه لنفقة عياله الذين تلزمه مؤنتهم في مضيه للحج ورجوعه، لأن النفقة متعلقة بحقوق الآدميين وهم أحوج وحقهم آكد. وأن يكون أيضا فاضلا عما يحتاج هو وأهله إليه من مسكن وخادم وما لا بد له منه مما جرت به العادة لمثله من الحوائج الأصلية. وأن يكون فاضلا عن قضاء دينه، لأن قضاء الدين من حوائجه

الأصلية ويتعلق به حقوق الآدميين فهو آكد، ولذلک منع الزكاة مع تعلق حقوق الفقراء بها وحاجتهم إليها، فالحج الذي هو خالص حق الله تعالى أولى، ولا يختص الأمر بدين الآدمي بل هو عام، فسواء كان الدين لآدمي معين أم من حقوق الله تعالى كزكاة في ذمته أو كفارات ونذور ونحوها.

وقد نص الفقهاء على وجوب أداء المسلم ديونه قبل أن يحج، وجعلوا من ضمن استطاعته للحج أداءه للديون إذا كان مدينا، فلا يعد مستطيعا إن كان مدينا سواء كان الدين لله كزكوات لم يخرجها وكفارات ونذور مالية لم يؤدها، أم كان لآدمي كقرض وثمن مبيع وقيمة متلف ونحوها، لأن ذمته مشغولة بالدين وهو محتاج لبراءتها، فتجب مقدمة على الحج. ويتأكد ذلک بقدر أكبر في ديون الآدميين خاصة، لأن حقوق الآدميين مبنية على المشاحة بخلاف حقوق الله فإنها مبنية على المسامحة.

ولعل العلة في أولوية الدين وتقديمه على الحج تبرز من جانبين هما:

الأول: أن السفر لأداء الحج يتطلب — كما هو معلوم — مصاريف مالية كبيرة ينفقها المسافر لأداء فريضة الحج أثناء سيره ذاهبا إلى مكة وبعد وصوله للمشاعر المقدسة خلال إقامته فيها ثم أثناء سيره عائدا إلى بلده. وهكذا سفره للمدينة النبوية لزيارة المسجد النبوي والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد فعل الزيارة مع الحج فإنه يحتاج إلى نفقات مالية أيضا، فكل ذلک يتطلب نفقات ومصاريف كبيرة يزداد مقدارها بحسب بعد المسافة بين بلد الحاج وبين مكة، وبحسب فترة إقامته في مكة والمشاعر المقدسة. وكذلک الحال بالنسبة للمدينة النبوية، كما تختلف النفقات أيضا باختلاف وسيلة النقل، فالطائرة في الغالب أكثر تكلفة من السيارة والباخرة، فإن تذكرة الطائرة تبلغ في بعض الأحيان الآلاف من العملة الورقية على اختلاف أنواعها، وتفوق تذكرة الطائرة تذكرة الباخرة وأجرة السيارة بأضعاف كثيرة، وهذا عدا نفقات السكن والطعام والشراب وأجور التنقلات بين المشاعر، وهذه النفقات قد تحول دون سداد المدين لما عليه من الديون فيضيع الحق، أو تؤدي إلى تأخير السداد فيقع الضرر على أصحابها.

الثاني: وهو وإن كان واردا إلا أن وقوعه أقل احتمالا من الأول — وهو تعرض المسافر إلى الحج للهلاک أثناء رحلة الحج نظرا لما يعتري هذه الرحلة من مخاطر في مختلف

مراحلها سواء في الطريق للحج ذهابا أو إيابا أم حين وجود الحاج في المشاعر أثناء أدائه مناسك حجه فيحصل له شيء من الحوادث أو يصاب بشيء من الأمراض الفتاكة نتيجة اختلاطه بالناس، ولقد كانت الأخطار التي يتعرض لها الحجاج كثيرة جدا في السابق، ولهذا فقد كان الذاهب للحج مفقودا والعائد منه مولودا، وكان هذا في المقام الأول عائدا إلى ما كان يتعرض له الحجاج من الخطر في الطريق بحصول الاعتداء عليهم من قبل قطاع الطرق من أفراد وعصابات امتهنت ترصُّد الحجاج وسلبهم أموالهم، ولو أدى الأمر إلى إزهاق أرواحهم في حال مقاومتهم، وقد زال هذا الخطر عن طريق الحجاج بحمد الله اليوم وذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل استتباب الأمن في بلاد الحرمين (المملكة العربية السعودية) بعد أن وحدها الملك عبد العزيز – رحمه الله – وبسط الأمن في جميع ربوعها وأمن طرق الحج.

ولكن أصبح الخطر اليوم في حوادث وسائل النقل الحديثة من طائرات وبواخر وسيارات، ولاسيما حوادث السيارات.

فإذا حصل للحاج شيء من تلك الحوادث المهلكة فمات وكان عليه دين فربما ضاع الدين على صاحبه وإن كان المدين موسرا لاسيما إذا لم يكن الدين موثقا برهن ونحوه. فقد يجحد الورثة الدين، أو يتهربون من سداده، أو يماطلون، أو يبادرون إلى قسمة الميراث دون اعتبار لأي ديون قد تكون على مورثهم فلا يتمكن الدائن من المطالبة والحصول على حقه. وقد عمم جمع من الفقهاء الحكم بوجوب أداء المسلم ديونه قبل الحج بغير تفصيل بين دين حال ودين مؤجل كما ذكر الموفق ابن قدامة. بل إن منهم من صرح بشمول الحكم للديون الحالة والمؤجلة على حد سواء كما ذكر البهوتي.

ومن أهل العلم من فرق بين النوعين فقال بوجوب أداء المسلم دينه الحال قبل حجه لما تقدم من أن قضاء الدين تتعلق به حقوق الآدميين فهو آكد ولذلك منع الزكاة مع تعلق حقوق الفقراء بها وحاجتهم إليها فالحج الذي هو خالص حق الله تعالى أولى، بخلاف الدين المؤجل لأنه لم يحل أجله بعد حتى يكون مستحق الأداء قبل الحج فكان الحج مقدما عليه. وهذا التفصيل هو الأولى إن شاء الله لاسيما إذا أخذنا في الاعتبار ما استجد اليوم في حياة الناس من تعاملات المداينات المتنوعة.

فإذا كان الدين حالا مستحق الدفع فإنه يجب على المسلم أن يبادر إلى سداده قبل أن يحج لأنه دين حال فوجب أداؤه على الفور وحقوق الآدميين مبنية على المشاحة ولو أخر أداءه ربما عجز عن الأداء بعد الحج أو هلك في الحج فكان الدين عرضة للضياع على صاحبه.

أما الدين المؤجل فلا يمنع الحج ما دام الحج لن يؤثر في أداء الدين عند حلول أجله بحيث إن المدين يغلب على ظنه أنه سيكون قادرا على السداد حين حلول الأجل لتوافر المال لديه، ويتأكد هذا أكثر إذا كان الدين المؤجل موثقا برهن. وكذلك إذا كان الدين يدفع على أقساط شهرية منتظمة تمثل جزءا محددا معلوما من الدخل الشهري المعتاد للمدين يستطيع المدين دفعه بدون مشقة مؤثرة يعتد بها أو كان يقتطع من رصيده في المصرف بصورة منتظمة كما في كثير من المداينات مع الدولة من خلال صناديق الإقراض العقارية والزراعية والصناعية وغيرها، وكذلك مداينات التمويل التي يبرمها الشخص مع المصارف ومؤسسات التمويل التي تتعامل بالبيع بالأقساط، فإن أقساط الدين في هذه الصور المذكورة هي مبالغ معلومة معينة تعادل مقدارا مناسبا يخصم من الدخل الشهري للشخص روعي في تحديد نسبته إلى الدخل عدم تأثيره على الحياة المعيشية للعميل المدين بحيث يتمكن من أداء القسط بيسر حين حلوله بدون أن يؤثر ذلك على مصروفاته الخاصة والتزاماته المالية الأخرى من نفقات أسرية ولا شك أن مثل هذه الديون التي تؤدى بهذه الطريقة لا تمنع وجوب الحج لعدم تأثير الحج على الوفاء بها فسواء حج الشخص أم لم يحج، فإن أقساط الدين تقتطع من دخله الشهري بدون تأثير على قدرة الشخص المالية، ولهذا فإن الدين مع هذه الطريقة من السداد شبه مضمون الأداء وغير عرضة للضياع، ومن قواعد الشرع المقررة أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، فإذا انتفت العلة وهي تعرض الدين للضياع والعجز عن سداده بحيث صار في مأمن من ذلك وصار أداؤه متحققا مضمونا فإنه ينتفي الحكم وهو عدم وجوب الحج، فيصبح الحج واجبا إذا توافرت شروطه المعروفة، ولا يبقى لمسألة الدين تأثير في وجوبه.

ويجدر التنبيه هنا إلى بعض الأمور المتعلقة بهذا الموضوع وهي:

أولا: يرى بعض أهل العلم أن المدين يستأذن الدائن قبل أن يحج، ويتعقب هذا آخرون بأن مسألة الاستئذان هذه ليس لها أصل. ولكن عند التأمل والنظر في قواعد الشرع العامة يظهر أن مسألة الاستئذان سائغة ولا مانع منها، فإن الدين حق آدمي، والأصل أن ما كان حقا محضا للآدمي فإنه إذا عفا عنه أو أذن فيه بشيء لا يخالف الشرع جاز إذنه وصح، وعلى هذا فلا يظهر بأس في مسألة الاستئذان هنا ولا مانع منها.

ثانيا: ذكر بعض الفقهاء كابن النجار والبهوتي والحجاوي أنه لا يحلل غريم مدينا أحرم بحج أو عمرة (يعني لا يجبره على أن يحل من إحرامه بهما)، لوجوبهما بالشروع فيهما، وذلك في قول الله تعالى: {وأتموا الحج والعمرة لله}.

ثالثا: نص بعض الفقهاء كالموفق ابن قدامة على أنه لو ترك الشخص حقا يلزمه من دين وغيره وحج حرم عليه تركه للحق ويأثم بذلك، ولكن حجه صحيح مجزيء، لأن الحق متعلق بذمته فلم يمنع صحة فعله.

رابعا: إن شأن الدين عظيم، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه) أخرجه الترمذي بسند حسن، وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم يصل على رجل مات، وعليه دين قدره ديناران حتى تُحُمِّلَتْ عنه فصلى عليه.

وهذا يدل على عناية الشريعة بالحقوق وحفظها لها وتأكيدها على أدائها إلى أهلها ومن ضمن ذلك الديون. ولهذا اعتنى الفقهاء بالدين عند حديثهم عن أحكام الحج وبينوا ما للديون من تأثير على وجوب الحج.

أسأل الله تعالى لي ولإخواني المسلمين أن يفقهنا في دينه، ويعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا. وأسأله جل وعلا أن يتقبل من حجاج بيت الله الحرام حجهم، وأن يجعل ذنبهم مغفورا وسيعهم مشكورا، وأن يعيدهم إلى أهلهم سالمين من كل سوء، غانمين الأجر والمثوبة من ربهم، وأن يرجعوا كيوم ولدتهم أمهاتهم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

آداب الحج

(٢)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

٣١- ينبغي لكل طائف إذا فرغ من طوافه أن يصلي خلف المقام ركعتي الطواف لما في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال في حديثه: ثم تقدم -رسول الله صلى الله عليه وسلم- إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" فجعل المقام بينه وبين البيت[١] الحديث.

قال النووي: "هذا دليل لما أجمع عليه العلماء أنه ينبغي لكل طائف إذا فرغ من طوافه أن يصلي خلف المقام ركعتي الطواف، واختلفوا هل هما واجبان أم سنتان؟ وعندنا فيه خلاف، حاصله ثلاثة أقوال، أصحها أنهما سنة، والثاني أنهما واجبتان، والثالث إن كان طوافا واجبا فواجبتان وإلا فسنتان.

وسواء قلنا واجبتان أو سنتان لو تركهما لم يبطل طوافه، والسنة أنه يصليهما خلف المقام، فإن لم يفعل ففي الحجر وإلا ففي المسجد، وإلا ففي مكة وسائر الحرم، ولو صلاهما في وطنه وغيره من أقاصي الأرض جاز، وفاتته الفضيلة ولا تفوت هذه الصلاة ما دام حيا، ولو أراد أن يطوف أطوفة استحب له أن يصلي عقيب كل طواف ركعتيه، فلو أراد أن يطوف أطوفة بلا صلاة ثم يصلي بعد الأطوفة لكل طواف ركعتيه قال أصحابنا: يجوز ذلك وهو خلاف الأول ولا يقال مكروه."[٢]

٣٢- ويستحب للطائف طواف القدوم إذا فرغ من الطواف وصلاته خلف المقام أن يعود إلى المحجر الأسود فيستلمه ثم يخرج من باب الصفا ليسعى لحديث جابر رضي الله عنه قال في حديثه: "ثم رجع -رسول الله صلى الله عليه وسلم- إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا"[٣] الحديث.

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
[٢] شرح صحيح مسلم: ١/٣٩٥.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

٣٣–يستحب أن يبدأ السعي من الصفا لما ثبت في رواية النسائي بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ابدؤوا بما بدأ الله به". [١]

٣٤–ينبغي للحاج أن يرقى على الصفا والمروة لحديث جابر رضي الله عنه قال: "ثم خرج –رسول الله صلى الله عليه وسلم– من الباب إلى الصفا، قرأ: "إن الصفا والمروة من شعائر الله، أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه" [٢] الحديث.

٣٥–يسن أن يقف الحاج على الصفا مستقبل الكعبة، ويذكر الله تعالى ويدعو، ويكرر الذكر والدعاء ثلاث مرات لما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في حجه، قال جابر رضي الله عنه: "فرقي –رسول الله صلى الله عليه وسلم– عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحّد الله وكبّره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله الا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة" [٣] الحديث.

٣٦–يُسن على المروة من الذكر والدعاء والرقي مثل ما يُسن على الصفا، لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جابر رضي الله عنه قال: "ففعل –رسول الله صلى الله عليه وسلم– على المروة كما فعل على الصفا" [٤] الحديث.

٣٧–إن السنة أن لا يتقدم أحد إلى مني قبل يوم التروية، وقد كره مالك ذلك، وقال بعض السلف: لا بأس به، ومذهبنا أنه خلاف السنة. [٥]

٣٨–استحباب السعي الشديد في بطن الوادي حتى يصعد، ثم يمشي باقي المسافة إلى المروة على عادة مشيه، وهذا السعي مستحب في كل مرة من المرات السبع في هذا الموضع، والمشي مستحب فيما قبل الوادي وبعده، ولو مشى في الجميع، أو سعى في الجميع أجزاه، وفاتته الفضيلة. هذا مذهب الشافعي وموافقيه، وعن مالك فيمن ترك السعي الشديد في موضعه روايتان، إحداهما كما ذكرنا، والثانية: تجب عليه إعادته. [٦]

---

[١] شرح صحيح مسلم ٣٩٦/١.
[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
[٥] شرح صحيح مسلم ٣٩٦/١.
[٦] شرح صحيح مسلم: ٣٩٦/١.

٣٩–إن السنة أن يصلي بمنى الصلوات الخمس الظهر، والعصر، والمغرب والعشاء والفجر، وأن يبيت بمنى ليلة التاسع من ذي الحجة، وأن لا يخرج من منى حتى تطلع الشمس، لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جابر رضي الله عنه: "فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى، فأهلوا بالحج، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس "[١] الحديث.

٤٠–استحباب النزول بنمرة لحديث جابر قال: "وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة"[٢] الحديث.

قال النووي: فيه استحباب النزول بنمرة إذا ذهبوا من منى، لأن السنة أن لا يدخلوا عرفات إلا بعد زوال الشمس وبعد صلاتي الظهر والعصر جمعا، فالسنة أن ينزلوا بنمرة، فمن كان له قبة ضربها، ويغتسلون للوقوف قبل الزوال، فإذا زالت الشمس سار بهم الإمام إلى مسجد إبراهيم عليه السلام، وخطب بهم خطبتين ويخفف الثانية، فإذا فرغ منهما صلى بهم الظهر والعصر جامعا بينهما، فإذا فرغوا من الصلاة ساروا إلى الموقف". [٣]

٤١–يجوز الاستظلال للمحرم بقبة وغيرها. [٤]

٤٢–يستحب للإمام أن يخطب الحجيج يوم عرفة في بطن الوادي لحديث جابر رضي الله عنه قال: "فرحلت له فأتى بطن الوادي، فخطب الناس "[٥] الحديث.

قال النووي: "فيه استحباب الخطبة للإمام بالحجيج يوم عرفة في هذا الموضع وهو سنة باتفاق جماهير العلماء وخالف فيها المالكية، ومذهب الشافعي أن في الحج أربع خطب مسنونة، إحداها: يوم السابع من ذي الحجة يخطب عند الكعبة بعد صلاة الظهر، والثانية هذه التي ببطن عرنة يوم عرفات، والثالثة يوم النحر، والرابعة يوم النفر الأول وهو اليوم الثاني من أيام التشريق. قال أصحابنا: وكل هذه الخطب إفراد، وبعد صلاة الظهر إلا التي يوم عرفات فإنها خطبتان، وقبل الصلاة. قال أصحابنا: ويعلمهم في كل خطبة من هذه ما يحتاجون إليه إلى الخطبة الأخرى". [٦]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
[٣] شرح صحيح مسلم: ٣٩٦/١.
[٤] شرح صحيح مسلم: ٣٩٦/١.
[٥] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
[٦] شرح صحيح مسلم: ٣٩٧/١.

٤٣–ويشرع أن يجمع بين الظهر والعصر في بطن الوادي يوم عرفة لما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال جابر رضي الله عنه: "ثم أذن، ثم أقام، فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئا"[١] الحديث.

قال النووي: "فيه أنه يشرع الجمع بين الظهر والعصر هناك في ذلك اليوم، وقد أجمعت الأمة عليه، واختلفوا في سببه، فقيل: بسبب النسك وهو مذهب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي، وقال أكثر أصحاب الشافعي هو بسبب السفر، فمن كان حاضرا أو مسافرا دون مرحلتين كأهل مكة لم يجز له الجمع كما لا يجوز له القصر".[٢]

٤٤–إن الجامع بين الصلاتين يصلي الأولى أولا، وإنه يؤذن للأولى، وإنه يقيم لكل واحدة منهما، وإنه لا يفرق بينهما، وهذا كله متفق عليه عندنا.[٣]

أريد هنا أن أذكر مسائل وآدابا للوقوف باختصار كي يستفيد منها الحجيج، فقد ذكر النووي مسائل وآدابا للوقوف، منها ما يلي:

١–أنه إذا فرغ من الصلاتين عجل الذهاب إلى الموقف.

٢–إن الوقوف راكبا أفضل، وفيه خلاف بين العلماء، وفي مذهبنا ثلاثة أقوال، أصحها أن الوقوف راكبا أفضل، والثاني غير الراكب أفضل، والثالث هما سواء.

٣–انه يستحب أن يقف عند الصخرات المذكورات، وهن صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات، فهذا هو الموقف المستحب، وأما ما اشتهر بين العوام من الاعتناء بصعود الجبل وتوهمهم أنه لا يصح الوقوف إلا فيه فغلط، بل الصواب جواز الوقوف في كل جزء من أرض عرفات، وإن الفضيلة في موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصخرات، فإن عجز فليقرب منه بحسب الإمكان.

٤–استحباب استقبال الكعبة في الوقوف.

٥–أنه ينبغي أن يبقى في الموقف حتى تغرب الشمس ويتحقق كمال غروبها، ثم يفيض إلى مزدلفة، فلو أفاض قبل غروب الشمس صح وقوفه وحجه، ويجبر ذلك بدم، وهل الدم واجب أم مستحب فيه قولان للشافعي أصحهما أنه سنة، والثاني واجب، وهما مبنيان على أن

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

[٢] شرح صحيح مسلم: ٣٩٨/١.

[٣] شرح صحيح مسلم: ٣٩٨/١.

الجمع بين الليل والنهار واجب على من وقف بالنهار أم لا؟ وفيه قولان أصحهما سنة والثاني واجب.

وأما وقت الوقوف فهو ما بين زوال الشمس يوم عرفة وطلوع الفجر الثاني يوم النحر، فمن وصل بعرفات في جزء من هذا الزمان صح وقوفه، ومن فاته ذلك فاته الحج. هذا مذهب الشافعي وجماهير العلماء، وقال مالك، لا يصح الوقوف في النهار منفردا بل لا بد من الليل وحده، فإن اقتصر على الليل كفاه، وإن اقتصر على النهار لم يصح وقوفه، وقال أحمد: يدخل وقت الوقوف من الفجر يوم عرفة، وأجمعوا على أن أصل الوقوف ركن لا يصح الحج إلا به، والله أعلم. [1]

٤٥–إن السكينة في الدفع من عرفات سنة فإذا وجد فرجة يسرع كما ثبت في الحديث الآخر. [2]

٤٦–إن السنة للدافع من عرفات أن يؤخر المغرب إلى وقت العشاء، ويكون هذا التأخير بنية الجمع، ثم يجمع بينهما في المزدلفة في وقت العشاء، وهذا مجمع عليه، لكن مذهب أبي حنيفة وطائفة أنه يجمع بسبب النسك، ويجوز لأهل مكة والمزدلفة ومنى وغيرهم، والصحيح عند أصحابنا أنه جمع بسبب السفر، فلا يجوز إلا لمسافر سفرا يبلغ به مسافة القصر، وهو مرحلتان قاصدتان، وللشافعي قول ضعيف أنه يجوز الجمع في كل سفر وإن كان قصيرا، وقال بعض أصحابنا: هذا الجمع بسبب النسك كما قال أبو حنيفة والله أعلم. قال أصحابنا: ولو جمع بينهما في وقت المغرب في أرض عرفات، أو في الطريق، أو في موضع آخر، أو صلى كل واحدة في وقتها جاز جميع ذلك، لكنه خلاف الأفضل، هذا مذهبنا وبه قال جماعات من الصحابة والتابعين، وقاله الأوزاعي وأبو يوسف وأشهب وفقهاء أصحاب الحديث، وقال أبو حنيفة وغيره من الكوفيين: يشترط أن يصليهما بالمزدلفة، ولا يجوز قبلها، وقال مالك: لا يجوز أن يصليهما قبل المزدلفة إلا من به أو بدابته عذر، فله أن يصليهما قبل المزدلفة بشرط كونه قبل مغيب الشفق. [3]

٤٧–إن المبيت بمزدلفة ليلة النحر بعد الدفع من عرفات نسك، وهذا مجمع عليه، لكن اختلف العلماء هل هو واجب أم ركن أم سنة؟ والصحيح من قولي الشافعي أنه واجب لو تركه أثم وصح حجه ولزمه دم، والثاني أنه سنة لا إثم في تركه ولا يجب فيه دم، ولكن يستحب، وقال

---

[1] شرح صحيح مسلم: ١/٣٩٨.
[2] شرح صحيح مسلم: ١/٣٩٨.
[3] شرح صحيح مسلم: ١/٣٩٨.

جماعة من أصحابنا: هو ركن لا يصح الحج إلا به كالوقوف بعرفات، قاله من أصحابنا ابن بنت الشافعي وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وقاله خمسة من أئمة التابعين وهم علقمة والأسود والنخعي والحسن البصري والله أعلم. والسنة أن يبقى بالمزدلفة حتى يصلي بها الصبح، إلا الضعفة فالسنة لهم الدفع قبل الفجر، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى، وفي أقل المجزي من هذا المبيت ثلاثة أقوال عندنا، الصحيح ساعة في النصف الثاني من الليل، والثاني: ساعة في النصف الثاني أو بعد الفجر قبل طلوع الشمس، والثالث: معظم الليل، والله أعلم.[١]

٤٨—السنة أن يبالغ بتقديم صلاة الصبح في هذا الموضع—المزدلفة—ويتأكد التبكير بها في هذا اليوم أكثر من تأكده في سائر السنة للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن وظائف هذا اليوم كثيرة، فمن المبالغة التبكير بالصبح ليتسع الوقت للوظائف.[٢]

٤٩—يسن الأذان والإقامة لهذه الصلاة—صلاة الفجر بالمزدلفة—وكذلك غيرها من صلوات المسافر، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالأذان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر كما في الحضر[٣] والله أعلم.

٥٠—إن السنة للحاج إذا دفع من مزدلفة فوصل منى أن يبدأ بجمرة العقبة، ولا يفعل شيئا قبل رميها، ويكون ذلك قبل نزوله.[٤]

٥١—السنة أن يرمي بسبع حصيات، وإن قدرهن بقدر حصى الخذف، وهو نحو حبة الباقلي، وينبغي أن لا يكون أكبر ولا أصغر، فإن كان أكبر أو أصغر أجزأه بشرط كونه حجرا.[٥]

٥٢—ويسن التكبير مع كل حصاة.[٦]

٥٣—إنه يجب التفريق بين الحصيات، فيرميهن واحدة واحدة، فإن رمى السبعة رمية واحدة حسب ذلك كله حصاة واحدة عندنا وعند الأكثرين.[٧]

---

[١] شرح صحيح مسلم: ١/٣٩٨.
[٢] المصدر السابق ١/٣٩٨.
[٣] المصدر السابق ١/٣٩٩.
[٤] المصدر السابق ١/٣٩٩.
[٥] شرح صحيح مسلم: ١/٣٩٩.
[٦] شرح صحيح مسلم: ١/٣٩٩.
[٧] شرح صحيح مسلم: ١/٣٩٩.

٥٤–إن السنة أن يقف للرمي في بطن الوادي بحيث يكون منى وعرفات والمزدلفة عن يمينه، ومكة عن يساره، وهذا هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة، وقيل: يقف مستقبل الكعبة، وكيف ما رمى أجزأه بحيث يسمى رميا بما يسمى حجرا والله أعلم، وأما حكم الرمي فالمشروع منه يوم النحر رمي جمرة العقبة لا غير بإجماع المسلمين، وهو نسك بإجماعهم، ومذهبنا أنه واجب ليس بركن، فإن تركه حتى فاتته أيام الرمي عصى ولزمه دم، وصح حجه، وقال مالك: يفسد حجه، ويجب رميها بسبع حصيات، فلو بقيت منهن واحدة لم يكفه الست. [١]

٥٥–إن المنحر موضع معين من منى، وحيث ذبح منها، أو من الحرم أجزاه. [٢]

٥٦–استحباب ذبح المهدي هديه بنفسه وجواز الاستنابة فيه. [٣]

٥٧–استحباب تعجيل ذبح الهدايا وإن كانت كثيرة في يوم النحر، ولا يؤخر بعضها إلى أيام التشريق. [٤]

٥٨–استحباب الركوب في الذهاب إلى مكة، ومن مكة إلى منى ونحو ذلك من مناسك الحج. [٥]

٥٩–منى كلها منحر، يجوز النحر فيها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "منى كلها منحر، فانحروا في رحالكم". [٦]

قال النووي: قال الشافعي وأصحابنا: يجوز نحر الهدي ودماء الحيوانات في جميع الحرم، لكن الأفضل في حق الحاج النحر بمنى، وأفضل موضع منها موضع نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قاربه، والأفضل في حق المعتمر أن ينحر في المروة، لأنها موضع تحلله كما أن منى موضع تحلل الحاج، قالوا: ويجوز الوقوف بعرفات في أي جزء كان منها، وكذا يجوز الوقوف على المشعر الحرام وفي كل جزء من أجزاء المزدلفة لهذا الحديث، والله أعلم. [٧]

(يتبع)

***

---

[١] شرح صحيح مسلم: ٣٩٩/١.
[٢] شرح صحيح مسلم: ٣٩٩/١.
[٣] شرح صحيح مسلم: ٣٩٩/١.
[٤] شرح صحيح مسلم: ٣٩٩/١.
[٥] شرح صحيح مسلم: ٤٠٠/١.
[٦] رواه مسلم في صحيحه، عن جابر رضي الله عنه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
[٧] شرح صحيح مسلم: ٤٠٠/١.

استطلاع

تطهير للذنوب وراحة نفسية

الحج.. منافع دينية ومكاسب دنيوية

للحج منافع كثيرة لا تعد ولا تحصى على صعيد الفرد أو المجتمع المسلم، أو الأمة بأسرها، منها ما هو دنيوي للمسلم ويراه ويشعر من أدى الفريضة من نعمة الاستقرار والأمن النفسي، والجرعة الإيمانية بالامتثال لأمر الله وطاعته والسير على منهج النبوة، ومنها ما هو أخروي ينعم به المسلم في الآخرة بإذن الله، ويكفي للحاج الذي يؤدي الفريضة ملتزما بنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعود كما ولدته أمه –بإذن الله– للحج مطهرا من كل الذنوب والخطايا، وأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

وحول منافع الحج الدينية والدنيوية يحدثنا عدد من المشايخ وطلبة العلم والأكاديميين الشرعيين في هذا الاستطلاع.

الامتثال لأمر الله

في البداية قال الشيخ أحمد بن حمد المزروع القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة المكرمة: لقد فرض الله تعالى شعيرة الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام قال سبحانه وتعالى: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا} (آل عمران: ٩٧)، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله فرض عليكم الحج فحجوا ..." وقد بين –سبحانه وتعالى– تحقيق منافع للمسلمين إذا أجابوا نداء الله تعالى كما قال سبحانه: {ليشهدوا منافع لهم} (الحج: ٢٨). وهذه المنافع منها ما هو على صعيد الفرد المسلم ومنها ما هو على صعيد المجتمع الإسلامي وأشير من هذه المنافع بإيجاز:

أولا: على صعيد الفرد المسلم:

يتحقق للمسلم بأداء هذا النسك العظيم من المنافع ما يأتي:

١- الامتثال لأمر الله تعالى وطاعته وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأداء هذا النسك تلك الطاعة التي بها يتحقق الخير للعبد في الدنيا والآخرة.

٢–تكرم المولى جل وعلا بمغفرة ذنبه وعودته من هذه الفريضة مطهرا من الذنوب كيوم ولدته أمه، قال صلى الله عليه وسلم: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه".

٣–البشرى له بالجنة حال تفضل الله تعالى عليه بالقبول، قال صلى الله عليه وسلم: "والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" متفق عليه، ويتحقق بر الحج بأدائه كما أدى المصطفى صلى الله عليه وسلم القائل: "خذوا عني مناسككم.." مع الإخلاص لله تعالى والالتزام بطاعته والابتعاد عما حرم.

٤–التقرب إلى الله تعالى بالتزود بالأعمال الصالحة في تلك الديار المقدسة لما لها من الفضل ومضاعفة الأجر.

٥–تحقق التقوى بتحقيق تعظيم شعائر الله تعالى ومقدساته وذلك بالتأدب بالآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة حال استشعاره لقدسية هذه الأماكن وعظمة هذه المناسك قال جل وعلا: {ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب} (الحج: ٣٢).

٦–نفي الفقر والذنوب عن العبد كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة".

٧–الفوز برضوان الله تعالى بالتقرب بذبح البدن والوفاء بالنذور والانتفاع بها.

ثانيا: على صعيد المجتمع:

إن منافع الحج تتضح جليا من خلال هذا التجمع الإسلامي الكبير من كافة بقاع الأرض على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وبلدانهم يجمعهم إجابة النداء الإلهي: {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا} (الحج: ٢٧) فيجيبوا هذا النداء بقولهم: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك" بقلوب مؤمنة طاهرة متحابة متوادة، هدفهم واحد، هيئتهم واحدة، ولباسهم واحد، متوجهين لرب واحد– جل وعلا –فيتحقق لهم منافع منها:

١– التعارف بين تلك المجتمعات الإسلامية الذي من خلاله يتم عرض أحوالهم وقضاياهم وطرح ما لديهم من حلول وعلاج لما تواجه تلك المجتمعات الإسلامية من مشاكل.

٢- تحقق الوحدة الإسلامية باجتماع المسلمين من أقطار الدنيا في أوقات معينة وأماكن مخصوصة ليؤدوا نسكا واحدا مستشعرين تلك الوحدة الإسلامية.

٣- التعاون بين المسلمين من خلال عقد اللقاءات والمؤتمرات الإسلامية في هذا التجمع الكبير لعرض مشاكلهم وطرح الحلول المناسبة لها وبخاصة تلك الأقليات المسلمة وما تعانيه من الاضطهاد والتميز العنصري.

٤- الاستفادة من مشروع خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله تعالى - بالانتفاع بلحوم الهدي والأضاحي مما ينحر في يوم العيد وأيام التشريق وإرسالها لبعض البلاد الإسلامية للاستفادة منها.

٥- المتاجرة بتبادل السلع والمنتجات من تلك البلاد الإسلامية، قال سبحانه وتعالى: {ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم} (البقرة: ١٩٨) وقد اقترح بعض الدعاة إقامة معرض دولي إسلامي لعرض تلك المنتجات الصناعية والزراعية في موسم الحج للاستفادة منها وتشجيعها مما أحل الله تعالى اقتناءها واستعمالها، هذا مما يسر الله تعالى الكتابة عنه من منافع بإيجاز، نسأل الله جل وعلا أن يتقبل من الجميع.

أهداف سامية

أما الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الربعي رئيس محاكم منطقة القصيم المساعد فقال: لقد فرض الله - عز وجل - الحج لحكم عظيمة ومنافع جليلة وأهداف سامية، أدرك الناس شيئا منها، وكل زمان يأتي تزداد هذه المنافع وحاجة الناس إليها.

وأسرار العبادات وفائدتها لا تعد ولا تحد، وإن الحج موسم من مواسم العبادات البدنية ومنافعه تشمل منافع الدنيا والآخرة، أما منافع الآخرة فرضوان الله - عز وجل - بطاعته والتقرب إليه بأداء هذه العبادة الجليلة، وهذا الركن العظيم من أركان الإسلام طاعة الله عز وجل واستجابة لأمره، وهو القائل - عز وجل -: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا} (آل عمران: ٩٧) وأما منافع الدنيا فكما قال ابن كثير - رحمه الله -: ما يصيبونه من منافع البدن والذبائح والتجارات (انتهى)، ونحن اليوم نرى في موسم الحج هذا المؤتمر الإسلامي العظيم تهوي إليه آلاف، بل ملايين البشر من المسلمين من رجال ونساء من كافة أصقاع الأرض يأتون بما يحملونه من ثقافات وتجارات وعلوم دينية ودنيوية، فيستفيد هذا من ذاك،

وتلتقي الثقافات على مختلف مشاربها، ولا تنحصر منافع الحج في جنس أو نوع، بل هي أشمل من هذا بكثير، إذ لا يمكن أن يتحقق هذا الاجتماع الكبير على صعيد واحد في غير الحج، ومن هنا عرف الإنسان بعض أسرار هذه الآية.

وحينما نقسم منافع الحج من حيث الفائدة الدينية والدنيوية على الفرد والمجتمع فإننا نجعلها على قسمين: دينية ودنيوية على الفرد، وذلك بمعرفة ما ينفعه في عبادته لربه —عز وجل— على ما يرضاه —سبحانه وتعالى— عقيدة صحيحة، وذلك بسؤال أهل العلم في موسم الحج أو حضور الدروس والندوات والمحاضرات التي تصاحب موسم الحج، ولقد نفع الله بذلك نفعا عظيما فعاد الحاج وقد استزاد علما وفهما لدينه.

ومن حيث المنافع الدنيوية للفرد فهي ما يمارسه من بيع وشراء في هذا الموسم والتعرف على التجارة والتجار.

وأما ما يخص المجتمع المسلم فمنافعه الدينية والدنيوية ظاهرة في هذه المؤتمرات والندوات الكبيرة لعلماء المسلمين ومفكريهم في موسم الحج في مكة المكرمة وما ينتج عنها من قرارات وتوصيات لصالح المسلمين عامة.

وبالجملة فمنافع الحج أكثر من أن تحصى أو نختزل في هذه الكلمات.

والله — جل وعلا — وهو العليم بما يصلح عباده في دينهم ودنياهم وهو الذي شرع وفرض هذه العبادة العظيمة وجعلها ركنا من أركان الإسلام ومبانيه العظام لصالح الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.

تجارة وربح مع الله

أما الدكتور محمد بن عدنان السمان المدير التنفيذي لشبكة السنة النبوية وعلومها فقال: تأتي فريضة (الحج) الركن الخامس من أركان الإسلام لتلتقي فيها الدنيا والآخرة، قال الله تعالى في سورة (الحج): {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير} (الحج).

هذه المنافع ذكرها الإمام ابن كثير –رحمه الله– وغيره عن ترجمان القرآن: عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما– حينما قال: منافع الدنيا والآخرة: أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والربح والتجارات، وكذا قال مجاهد، وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة.

ومن هذا المنطلق فقد حرص أهل العلم عند تفسير هذه الآية على ذكر جملة من هذه المنافع الدنيوية والأخروية. فإذا نظرت إلى المنافع الدنيوية فتجد في مقدمتها أن الحج مؤتمر إسلامي كبير فيه يتحقق الاجتماع والتعارف بين ثلة كبيرة من المسلمين، كما أن أصحاب السلع والتجارة يجدون منافع لهم في موسم الحج، ويكون لهم من حصول الأرباح والتكسب ما لا يحصل لهم في غيره، فالاجتماع الكبير للناس والمقدر بالملايين مع إتيانهم من كل فج عميق يجعل من تنوع هذه التجارات مجالا للتكسب والتربح.

ومن مظاهر المنافع الدنيوية أيضا ما يحصل من صدقات أو يقدم من ذبائح الهدي والضحايا والكفارات عن محظورات الإحرام، مما يكون فيه توسعة على فقراء مكة وغيرهم.

أما المنافع الأخروية وهي المقصد الأسمى لهذه الشعيرة العظيمة فهي كثيرة، فالحج موسم ومؤتمر، موسم عبادة فيه إقبال على الله، وتعظيم لشعائر الله، وابتغاء لرضوان الله، وطلب لرحمة الله ومغفرته، وعفو الله ورحمته، ففيه تغفر الذنوب، وتسكب العبرات، وتستجاب الدعوات، وتعتق الرقاب من النار، وتصفو فيه الأرواح وهي تستشعر قربها من بيته الحرام، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

والحج مؤتمر تعاون واجتماع وتعارف، يجتمع فيه النخبة من قادة المسلمين وأولياء أمورهم وعلمائهم ودعاتهم فيتشاورون، فتجتمع الكلمة، ويتوحد الصف، وفي الحج يتحقق الاهتمام بكثير من أمور المسلمين من خلال التنسيق والتعاون بين أهل الرأي والحل والعقد، وفي الحج يلتقي المسلمون بنخبة من علمائهم فيتعلمون منهم، ويقتدون بهم، ويتفقهون في دينهم، وفي الحج من مظاهر عطف الأغنياء على الفقراء، من بذل الصدقات المالية والعينية من

طعام وسقيا ونحوها مما يثلج الصدر، ويظهر للعالم أجمع مدى التلاحم والتكاتف بين المسلمين.

وفي الحج مظهر عظيم من مظاهر البر والصلة، فتجد الابن يحج بأبيه أو أمه، فيذلل له الصعاب، وييسر له العبادة، ويتحمل في ذلک المشقة والجهد برا بوالديه وابتغاء لمرضاة ربه، وطلبا للأجر والمثوبة.

إن ما تبذله هذه البلاد الطيبة (المملكة العربية السعودية) من خدمات حسية ومعنوية لهذه الفريضة العظيمة يذكر فيشكر، فخادم الحرمين الشريفين وولي عهده والنائب الثاني وزير الداخلية -وفقهم الله- يقفون بأنفسهم في مقدمة خدمة الحج والحجاج، وذلک يسهم في إبراز كثير من تلک المنافع، ومن ذلک على سبيل المثال:

١- المؤتمر السنوي الكبير للحج، والذي يرعاه خادم الحرمين الشريفين -أيده الله-، ويشارک فيه قادة الدول الإسلامية من الحجاج، وكبار علمائهم، ومثقفيهم.

٢- استضافة المملكة العربية السعودية لعدد كبير من الحجاج من دول عديدة وخاصة دول الأقليات الإسلامية.

٣- التغطية الإعلامية المميزة للحج، ومشاعره، وبثها عبر القنوات الرسمية لكافة أنحاء المعمورة.

٤- انتداب مجموعة من العلماء وطلبة العلم للتوعية في الحج، والإفتاء، وتفقيه الناس في دينهم.

بالإضافة إلى ما تبذله الدولة من وسائل وسبل ومرافق وخدمات وتسهيلات وتنظيمات في خدمة الحجاج، والحفاظ على أمنهم، ليؤدوا مناسكهم بما يرضي ربهم، ابتداء من وصولهم وحتى عودتهم إلى ديارهم.

(مع الشكر لمجلة "لبيک" السعودية)

***

التراث الإسلامي

الصفا والمروة..
في كتابات الرحالة والمؤرخين

عرفه عبد علي

قال ياقوت الحموي في "معجم البلدان" الصفا والمروة جبلان بين بطحاء مكة والمسجد، أما الصفا فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة .. والمروة جبل بمكة يعطف على الصفا، وهي في جانب مكة الذي يلي قعيقعان، وقد ثناه جرير في قوله:

فلا يقربن المروتين ولا الصفا ولا مسجد الله الحرام المطهرا

كتب "ابن جبير" الرحالة الأشهر: من باب الصفا إلى الصفا ست وسبعون خطوة، وللصفا أربعة عشر درجا، وهو على ثلاثة أقواس مشرفة، والدرجة العليا متسعة كأنها مصطبة، وقد أحدقت به الديار وفي سعته سبع عشرة خطوة، وبين الصفا والميل الأخضر "سارية خضراء"، وهي التي إلى ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم على قارعة المسيل إلى المروة، وعن يسار الساعي إليها ومنها يرمل في السعي إلى الميلين الأخضرين.. وعلى كل واحدة منهما لوح قد وضع على رأس السارية كالتاج، ألفيت فيه منقوشا برسم مذهب: {إن الصفا والمروة من شعائر الله..} الآية.. وبين الصفا والميل الأول ثلاث وتسعون خطوة، ومن الميل إلى الميلين خمس وسبعون خطوة، وهي مسافة الرمل مجيئا وذهابا.. ومن الميلين إلى المروة ثلاث مائة وخمس وعشرون خطوة، فجميع خطى الساعي من الصفا إلى المروة أربع مائة وثلاث وتسعون خطوة، وأدراج المروة خمسة وهي بقوس واحد كبير، وسعتها سعة الصفا سبع عشرة خطوة، وما بين الصفا والمروة مسيل هو اليوم: سوق حفيلة بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب، والساعون لا يكادون يخلصون من كثرة الزحام وحوانيت الباعة يمينا وشمالا، وما للبلدة سوق منتظمة سواها إلا البزازين والعطارين.

وقال محمد لبيب البتنوني في الرحلة الحجازية عندما صحب الخديوي "عباس حلمي الثاني" عام ١٩٠٩م: المسعى هو ما بين الصفا والمروة وطوله نحو أربعمائة وعشرين مترا، وهو شارع عمومي محاط بالبيوت والمخازن والدكاكين مما يجعله مزدحما بالناس زمن الموسم، ولاسيما عند دخول القوافل بالحجيج إلى مكة، وهنالك يكثر الساعون ويصادفون في سعيهم مشقات كثيرة، وعلى طرفي المسعى وخصوصا من جهة المروة دكاكين للحلاقة، يحلق أو يقصر فيها من أراد أن يتحلل من إحرامه.

الأمير الغامض

في عام ١٢٢١هـ/١٨٠٧م جاء مغامر يحدوه طموح الشباب والماضي السعيد لبلاده، ليحاول القيام بدور ما، في ظل تشابك المصالح والأطماع بين قوى تلك الحقبة .. كان صاحب هذا المشروع الرحالة الإسباني المغامر دومينجو باديا أو الأمير الغامض "علي بك العباسي"، وعلى الرغم من فشل مسعاه الذي خطط له في المغرب، حيث تكشفت مخططاته، إلا أنه نجح في الدخول إلى مكة المكرمة ووصف معالمها ومناسك الحج فيها.

وبعد أن وصف الكعبة والحرم المكي ومقام إبراهيم وبئر زمزم، كتب عن مناسك السعي بين الصفا والمروة، فقال: "نخرج بعد ذلك من خلال باب الصفا، حيث نصعد في زقاق يؤدي مباشرة إلى ما يسمى جبل الصفا، وفي طرف الشارع الذي ينتهي بما يشبه الساحة، مبنى مكون من ثلاثة أقواس على أعمدة، ومنها يكون الصعود بالدرج إلى المكان المقدس المسمى: الصفا، وعند صعود الحاج يحول وجهه نحو الكعبة ويدعو دعاء قصيرا واقفا على قدميه، عند ذلك يأخذ الشارع الرئيسي باتجاه جبل المروة، قاطعا المسافة وهو في حالة دعاء مستمر حتى نهاية الشارع المقطوع بحائط ضخم، يصعد بعض الدرج موليا وجهه نحو الكعبة، لو أن منظر البيوت المعترضة تحجب الرؤية، وفي كل الأحوال يستمر الدعاء، وبعد السعي الثاني نحو الصفا يتبعه ثالث باتجاه المروة، وهكذا وبشكل مستمر حتى المرة السابعة رواحا ومجيئا بين التلّتين.

وأضاف دومينجو: التلتان المقدستان، الصفا والمروة، من الممكن أن تعدا مستقلتين عن الحرم، وذلك لوجوب زيارتهما من قبل كل حاج بعد الطواف سبع مرات حول بيت الله، وهذان الموقعان كانا خارج العمران زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وبسبب التوسع المتوالي

أصبحا يغصان بالبيوت.. يبعد الصفا قليلا عن الحرم في الجهة الجنوبية الشرقية، مقابل الباب الذي يحمل الاسم نفسه، وأسفل جبل أبي قبيس وهو المكان الذي سقط فيه الحجر الأسود من السماء.. أما المروة، فتقع في مكان منعزل نوعا ما عن الحرم من الناحية الشمالية—الشرقية، وفي طرف شارع يؤدي إلى تلك المروة توجد مصطبة ذات مسطح رباعي بأبعاد خمسة وعشرين إلى ثلاثين قدما، مغلفة بجدار ضخم بجوانبها الثلاثة، وهو نفس المكان المقدس الذي يقف عليه الحاج ليتلو دعاء المروة صاعدا بعض الدرج.

وفي ذلك الشارع، توجد محلات الحلاقة التي يذهب إليها الحجاج لقص شعورهم، عقب الانتهاء من السعي سبع مرات بين التلتين المقدستين.. والشارع الرئيسي في مكة هو بالتحديد الذي يصل الصفا والمروة، وفي الوقت ذاته، هو السوق العام، والناس تمر فيه بلا توقف أو مراعاة، الأمر الذي يزعج الحجيج كثيرا في سعيهم بين التلتين المقدستين ويقطع عليهم خشوعهم.

بوركهارت حاجا

الرحلة التي قام بها الرحالة السويسري الشهير: جون ليوس بوركهارت أو الشيخ إبراهيم تعد من أهم المصادر التاريخية حول الحياة في جزيرة العرب وعادات سكانها والأحوال السياسية والاجتماعية والدينية التي كانت تتفاعل في تلك المرحلة التاريخية، ومعرفته باللغة العربية وبعادات المسلمين وتقاليدهم مكنته من انتحال صفة المسلم بنجاح خلال إقامته بمكة المكرمة خلال موسم الحج وأدائه للمناسك في عام ١٨١٤م.

كتب بوركهارت: "المسعى: هو الشارع الأكثر استقامة وطولا في مكة، وأحد الشوارع المتقنة البناء، وقد أخذ اسمه من شعيرة السعي التي تؤدى فيه.. خارج المسجد عبر بوابة تسمى "بوابة الصفا" تقع ثلاث قناطر "عقود" صغيرة مفتوحة الطرف الجنوبي الشرقي للمسجد، هذا هو ما يسمى بتل الصفا، يقف الحاج هنا، على الدرجة العليا ووجهه باتجاه المسجد الذي حجبته عن الرؤية المنازل الواقعة بينهما، ويتوجه إلى الله بالدعاء ملتمسا عونه على إتمام المسيرة المقدسة أو السعي، ثم ينزل ليباشر السير على طول شارع منبسط يبلغ طوله نحو ست مائة قدم، ويسميه المؤرخون العرب "وادي الصفا"، وهو يقود إلى المروة التي تقع على طرفه الآخر، حيث وضعت منصة حجرية ترتفع نحو ست أو ثماني أقدام

عن مستوى الشارع، مع عدة درجات عريضة تؤدي إليها، وعلى الزائر أن يسعى بخطى سريعة من الصفا إلى المروة، ثم عليه أن يعدو لمسافة قصيرة حددت بأربعة أحجار أو أعمدة تسمى "الميلين الأخضرين" بنيت في جدران المنازل على الجانبين، وتتلى الأدعية بلا توقف.. إن السير بين المكانين يجب أن يتكرر سبع مرات، حيث يختتم عند المروة، فيكون أربع مرات من الصفا إلى المروة، وثلاث مرات من المروة إلى الصفا..

وهناك عدة دكاكين للحلاقة في المنطقة المجاورة للمروة، يدخل إحداها الحاج بعد أن يتم السعي، فيحلق رأسه....

وسجل بوركهارت في انطباعاته أن المنازل المحيطة بشارع المسعى: "مبان لائقة وجميلة، حيث يتخذ الأغنياء مساكنهم في موسم الحج، وهو الشارع الأكثر ضجيجا وارتيادا في المدينة"، وأشاد بمخازن التجارة، "ويستأجر الحجاج الأتراك المنازل كلها في شارع المسعى الذي بدا كسوق قسطنطينية، وتباع فيه الأزياء التركية الفاخرة والسيوف المتقنة الصنع والساعات الإنجليزية القيمة وأجمل المصاحف، وهي أثمن ثلاثة أشياء يمكن أن تجدها في حقيبة حاج تركي".

بيرتون.. الدبلوماسي الرحالة

أما الضابط والدبلوماسي والعالم والرحالة البريطاني الشهير "ريتشارد بيرتون" الذي زار مكة المكرمة والمدينة المنورة عام ١٨٤٣ وأدى مناسك الحج، فكتب باستفاضة عن معالم المدينتين المقدستين، وطبائع الناس وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، وتحدث عن السعي بين الصفا والمروة، فكتب: "ودخلنا مكة بعد وقت يسير واتجهنا للحرم من بوابة الصفا، وطفنا حول الكعبة ثم غادرنا الحرم من البوابة نفسها، واتجهنا للصفا الذي يقع على بعد حوالي مائة ياردة إلى الجنوب الشرقي من المسجد الحرام، وعلى مقربة من نهاية الصفا مبنى متواضع يتكون من ثلاثة عقود دائرية ودرجات سلم تؤدي لهذه العقود خارج الطريق الضيق، واستدرنا بحميرنا دون أن ننزل عنها وبذلنا كل الجهد لرؤية الكعبة، ونوينا نية "السعي" وبعد التلبية، رفعنا أيدينا وكررنا مرتين: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، لا إله إلا هو وحده حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.. ثم هبطنا من الصفا والمكارية الصغار يسبقوننا ومعهم الفوانيس والنبابيت ليبعدوا عنها

المهرولين.. وهبطنا في شارع المسعى نحو المروة، مرددين التلبية والدعاء، ولما وصلنا بطن الوادي—وهو الموضع الذي يحددونه الآن بعمودين أخضرين: أحدهما في الجانب الشرقي للحرم المكي، والآخر في منزل على الجانب الأيمن، بدأنا نحث دوابنا وكنا نردد: اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم، فأنت الأعز الأكرم، نجنا من عذاب النار وأدخلنا جنتك بسلام وهب لنا السعادة في الدنيا والآخرة.. كنا قد عبرنا الجزء الأكثر انخفاضا في المسعى الذي تحدد نهايته بعمودين آخرين، ومرة أخرى بدأنا في الصعود حتى وصلنا للمروة، وهي مرتفعة قليلا كالصفا عند منحدر الجبل، ومن المسعى يصعد درجات قصيرة إلى منبسط محاط من جوانب ثلاثة بجدران عالية بدون عقود، ويبدو المسعى من أعلى منحنيا كوتر القوس ويبلغ طوله نحو ثمان مائة قدم، وتحفه المساكن المرتفعة من الجانبين وتخرج منه أزقة صغيرة.. لقد انتهى سعينا—سبعة أشواط—عند جبل المروة، حيث نزلنا من فوق حميرنا وجلسنا داخل دكان حلاقة إلى يمين الطريق، دفعنا للحلاق ثم طرحنا ملابس الإحرام فوق رؤوسنا دلالة على أننا أصبحنا الآن في حالة "إحلال" ودخلنا الحرم وصلينا ركعتين.. ثم عدنا للبيت وقد شملنا بعض الإرهاق".

الضابط الروسي.. دولتشين

ينتمي الضابط الروسي المسلم "عبد العزيز دولتشين" إلى عائلة تترية نبيلة غلبت عليها روح التقوى الإسلامية، تخرج من المدرسة العسكرية في بطرسبرج، والتحق بالدائرة الآسيوية بوزارة الخارجية الروسية، وأتقن اللغات الشرقية: العربية والتركية والفارسية، بالإضافة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

قام دولتشين برحلته لأداء فريضة الحاج عام ١٨٩٨م، واعتبرها "منحة من القدر".. وعقب وصفه لبئر زمزم المقدسة، تحدث عن شعيرة السعي بين الصفا والمروة فكتب: "من الجانب الشرقي من الحرم يمتد شارع المسعى، ويصل بطرفه الشمالي إلى جبل المروة، وبطرفه الجنوبي إلى جبل الصفا، وينتهي عند الجبلين ببضع درجات واسعة في أعلاها ساحة صغيرة.. بين هذين الجبلين، بحثت هاجر وقد أضناها العطش عن الماء راكضة من جبل الصفا إلى جبل المروة ذهابا وإيابا. وعلى ذكرى هذا الحدث، يقطع الحاج هذه المسافة سبع مرات،

وهذا الفرض يسمى "السعي"، والمكان الذي يؤدى فيه "المسعى".. في المساء، ينيرون الحرم وبعض الأماكن في المسعى بعدد هائل من القناديل".

وأشار دولتشين إلى أن الحاج، عقب انتهاء الطواف بالكعبة، يؤدي ركعتين في مقام إبراهيم، ثم يخرج من الحرم عبر باب الصفا لأداء شعيرة السعي.. حيث يتجه الحجيج إلى جبل الصفا ويصعدون على درجاته، فيذهبون مرددين الأدعية المأثورة، إلى طرف الشارع نحو جبل المروة، والطريق تميزه علامات خاصة، وبعد الركض يستريحون ثم يرجعون إلى جبل الصفا وهكذا سبع مرات، والضعفاء يؤدون هذه الشعيرة على ظهور الحمير، أما المرضى فيحملون على نقالات، سواء في الطواف أو في السعي..".

الحاج نصر الدين

هو الفنان الفرنسي الفونس اتيان دينيه، الذي أغوته صحراء الجزائر عام ١٨٨٤م، وانبهر بطابع حياة المسلمين، وبحضور مفتي الجزائر أشهر إسلامه عام ١٩١٣م، وقال وهو يردد الشهادتين: "لم يكن اعتناقي الإسلام وليد صدفة، بل عن دراية تامة ودراسة عميقة طويلة الأمد لجميع الديانات".. استقر دينيه في "بوسعادة" وسجل في إبداعاته تفاصيل حياة أهلها اليومية.. وقام برحلة الحج برفقة صديقه: سليمان بن إبراهيم عام ١٩٢٩م وتسمى باسم "الحاج نصر الدين"..

وفي كتابه "الحج إلى بيت الله الحرام" سجل انطباعاته عن رحلته ومناسك الحج، فتحدث عن أول نظرة إلى الكعبة والطواف حولها والحجر الأسود في استفاضة ومحبة إنسانية سامية، وماء زمزم المقدس، وعن السعي بين الصفا والمروة، كتب دينيه: "أنهينا مناسكنا بالكعبة وخرجنا من باب الصفا لنقوم بالسعي، وهو ركن واجب من أركان الحج، على الحاج القيام به يوم وصوله إلى مكة المكرمة، ويسعى الأشواط التي يكررها الحاج بين الصفا والمروة سبع مرات، لذكرى هاجر التي سعت بينهما قلقة أملا في العثور على شيء من الماء لوليدها إسماعيل، والمسعى شارع فسيح تحفه الحوانيت من كل جانب، والجموع غفيرة إلى حد أننا لم نستطع إيجاد مسلك لارتقاء الدرجات الموصلة إلى أحد أقواس الصفا، هنا ملنا إلى جهة الكعبة وبسطنا أكفنا بالدعاء، ورددنا وراء مطوفنا الدعاء المأثور: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، ولا نعبده إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون".. مشينا هرولة بين العمودين الأخضرين المتباعدين

بحوالي ستين مترا، ثم مشينا إلى المروة التي تبعد أكثر من أربع مائة متر، وفوقها قوس واسع، صعدنا درجات من الحجارة حتى وصلنا إلى القمة فقلنا الدعاء نفسه، متوجهين نحو الكعبة، ثم نزلنا لاستئناف السعي الذي يجب القيام به سبعة أشواط بين الربوتين بشيء من المشقة!. وتحف بالحجاج حوانيت، وفي كل خطوة كنا نتصادم بالحجاج القادمين من الاتجاه المعاكس.. كان علينا المشي على أحجار البلاط التي صارت زلقة بفعل ماء التنظيف، حاسرين إحرامنا حتى لا يمسه شيء من الطين، مرددين وراء مطوفنا الأدعية دون توقف.. حتى بلغنا أخيرا نهاية أشواطنا السبعة عند ربوة المروة.

دخلنا عند حلاق بشارع المسعى، استقبلنا بالدعاء بالحج المبرور والسعي المشكور، وسقانا من الماء البارد ما روى ظمأنا الشديد.. دخلنا متعبين، ولكن ليس لنا الحق في التبرم، فقد كان السعي قديما أشد مشقة وسط سحب من الغبار أشد كثافة وتحت أشعة الشمس الحارقة حين كان المسعى مكشوفا وغير مرصوف".

الحاج عبد الله فيلبي

تعد كتابات "فيلبي" موسوعة في أدب الرحلة وفي تاريخ وجغرافية واقتصاد وآثار المملكة العربية الإسلامية خلال عهد الملك عبد العزيز، والذي وصفه فيلبي بأنه "من أعظم قادة الإصلاح في العصر الحديث".. في عام ١٩٤٣م كان فيلبي في معية الملك المؤسس لأداء فريضة الحج، وتناول بالتفصيل لحظة خروج الموكب الملكي إلى مكة المكرمة، والحفل الملكي السنوي لاستقبال وفود الحجيج الرسمية، ومعالم المدينتين المقدستين، ومناسك الحج..

عقب خروجه من الحرم المكي، انضم فيلبي إلى الجموع المتجهة إلى رأس المسعى: الصفا، وقال: "إنها تلة قديمة مبنية الآن، ولها بعض درجات عريضة من الجرانيت تزدان ببناء مقوس حديث نسبيا، في العصور القديمة، كان بإمكان الواقفين في هذا المكان رؤية الكعبة التي يتجه الحاج إليها بالدعاء المأثور.. ثم يهبط لبداية الشوط.. على الحاج شق طريقه في الزحام بما وسعه، ففي الخطوات المائة الأولى يسير حتى التقاطع، حيث يعبر المسعى طريق القشاشية، وامتداده بمحاذاة الجدار الشرقي للحرم إلى الحميدية—مقر الحكومة— ومن هذه النقطة يحدد عمود غائر في جدار الحرم بداية هرولة، وهناك عمود أخضر على يمين المسعى، على جدار دكان، يحدد نهاية الهرولة.. ثلاث وخمسون خطوة، وبعد ذلك

يواصل الحاج سعيه مشيا ثلاث مائة وست خطوات المتبقية من الشوط، وهو الآن شارع واسع مغطى، على جانبيه الدكاكين، حتى التل المعروف بالمروة، المشابه للصفا في درجاته العريضة وبنائه المقوس، وطول المسعى نحو ٣٨٠ ياردة، وقد تم تبليطه بالحجارة في عهد الملك عبد العزيز، وأثناء السعي يردد الحاج الدعاء المأثور للمناسبة، والسعي سبعة: أربعة من الصفا وثلاثة في الاتجاه المعاكس.. جيش من الحلاقين يزحمون طرف المروة، يبدو أن لهم سوقا رائجة".

الدبلوماسي الرحالة مراد هوفمان

حفزت التجارب الشخصية "مراد هوفمان" كدبلوماسي ورحالة في كثير من البلاد الإسلامية، خاصة دول شمال أفريقيا وتركيا، لينغمس في دراسة القرآن الكريم، حتى أدرك بعد سنوات، أن اعتناق الإسلام هو النتيجة المنطقية الوحيدة لبحثه المطلق عن حقيقة الحياة.. وتجدر الإشارة إلى شغله منصب: مدير قسم المعلومات بحلف الناتو.. وقد أصبح مراد هوفمان واحدا من أهم المفكرين الإسلاميين: بصدق عقيدته وثقافته الواسعة التي حباه الله بها وصدق لهجته في الدعوة بالإضافة إلى مواقفه وتأملاته ودقة تصوراته ووضوح منهجه وثقته بالله، وأمله في أن يحيي الله موات شعب الغرب ويهديهم إلى هذا الدين العظيم.

أشهر "هوفمان" إسلامه عام ١٩٨٠م، وكان وصوله إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج للمرة الأولى في ٢٠ ديسمبر ١٩٨٢م.. وصف هوفمان انطباعه منذ أن حطت به الطائرة في مطار جدة.. وملاحظاته للوجوه التي كانت تشع منها الفرحة والسعادة من أهل المشرق المسلمين الذين اتخذوه أخا مؤمنا لهم بالإسلام، وسجل انطباعاته عن الحرم المكي.. وكل ما يحيط به: مضيء ومحترم، والطواف حول الكعبة في هدوء وسكينة، ثم تحدث عن شعيرة السعي، فكتب: "اتجهنا بعد ذلك مباشرة إلى السعي مع موظف سعودي، لنؤدي هذه الشعيرة الأزلية: سبعة أشواط سريعة نوعا ما، بين جبلين صغيرين هما الصفا والمروة.. وكم آلم المطوف أن يسمع ما نردده وراءه من ألفاظ الدعاء المأثور بلهجات غريبة مزعجة!.. ولم يمض إلا وقت قليل حتى أنهينا كافة مناسك العمرة، ولكي نعود إلى حياتنا المألوفة، قص أحد الأولاد الموجودين بالمسعى: بضع شعرات من رؤوسنا، مع ترديد دعاء مأثور، فأمكننا أن نعود إلى ارتداء الملابس العادية ونتحلل فنخلع ملابس الإحرام"..

(مع الشكر لمجلة الفرقان الكويتية)

***

الدعوة الإسلامية

دور بديع الزمان سعيد النورسي

من خلال "رسائل النور" في إصلاح المجتمع الإسلامي في القرن العشرين

محمد أحمد بن عبد الله
جامعة جواهر لعل نهرو، نيو دلهي

شخصية بديع الزمان سعيد النورسي:

كان بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٧-١٩٦٠م) أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في القرن العشرين. تربى في مجتمع من تركيا ساده الجهل والفقر والإلحاد والطغيان. وتفقه في الدين ونهل من مناهل العلوم الحديثة من الرياضيات وعلم الفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ. وتعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمي بـ"بديع الزمان" اعترافا بذكائه الحاد، وعلمه الغزير، واطلاعه الواسع. ثم حول مسار حياته إلى إصلاح المجتمع الإسلامي وإعادة الروح الديني فيه بواسطة خدمة القرآن الكريم وتفسيره وبيان أغراض آياته ضمن رؤية تبلورت مع الزمن ومع أطوار رحلة العمر، فأصبح من رواد التفسير العلمي للقرآن.

ولم تكن حياته إلا ملحمة من الوقائع والحوادث. فباندلاع الحرب العالمية الأولى كان في طليعة المجاهدين دفاعا عن حمى الوطن، وآنذاک كان يتقاطر عليه من الجهات الأربع رصاص بنادق الجيوش السوفيتية، فكان يناضل ويطلق بندقيته في صدور الأعداء من جهة ويضع في مصنع دماغه قنبلة إعجاز القرآن ليحطم بها بنيان الكفر والضلال من جهة أخرى. وجرح في هذه المعركة مع الروس وأسر إلى روسيا حيث قضى سنتين وأربعة أشهر. ثم وضع تصوره لرفع المهانة وإزالة عوامل القنوط التي ألحقتها الهزيمة بالدولة العثمانية والمسلمين عامة. ولما لم يشارک مع النقشبندية وقام ضد الإلحاد والزندقة نفي إلى "بوردو" ثم إلى "بارلا"، ثم لم يزل ينقل من سجن إلى آخر، ومن محكمة إلى أخرى طوال ربع قرن من الزمن. وكان لا يرضى بالظلم ولا يقربه ولا يقبله لنفسه ولا لغيره. وكان صاحب همة عالية وإرادة حديدية ونفس كبيرة لا يرهقها المرض ولا الشيخوخة ولا يتعبها النفي ولا السجن ولا الاغتيال. واستمر في مقاومة الإلحاد بالكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء. ومع غلبة رسائل النور وظهورها ظهورا معنويا كاملا حاول ملحدو الماسونيين وزنادقة الشيوعيين أن يهولوا صغائر الأمور فيحولوا دون حرية نشر رسائل النور ولكنهم فشلوا حتى أدت الغلبة المعنوية هذه

إلى إرسال البرقيات من قبل مئات من الشباب المثقفين تعبيرا عن تهانيهم إلى رئيس الوزراء الذي سعى لإعادة الأذان المحمدي على الوجه الشرعي الذي منعه مصطفى كمال باشا من قبل. وذلك أنه كان قد أمر بأداء الشعائر الدينية كلها في اللغة التركية.

رسائل النور:

هي مجموعة من ستة آلاف ورقة تفسر القرآن، وتثبت حقائق الإيمان بما يتفق مع العلم الحديث من خلال البراهين والأدلة العقلية، والتي تصف جوانب إعجاز القرآن. على الرغم من أن مؤلفها واجه اضطهادا لا يطاق، والسجن، والنفي، في حين لم يدخر أي جهد لخدمة الإيمان تفسيرا بالقرآن. وقد وفق لإكمال تفسيره باللغة التركية من عام ١٩٢٦م حتى عام ١٩٥٠م. وذلك عندما بلغه أن وزير المستعمرات البريطاني خطب وبيده نسخة من المصحف الشريف قائلا: إننا لا نستطيع أن نحكم المسلمين ما دام هذا الكتاب بيدهم، فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به"[1] فشغل نفسه بمهمة رئيسية، وهي إنشاء المدارس وإثبات الحقائق الإيمانية بتفسير القرآن الكريم لمواجهة الخطر الذي كان يهدد الإيمان في عصره.

دور بديع الزمان سعيد النورسي من خلال "رسائل النور":

هبت ريح الإلحاد وعواصفه الشديدة على تركيا بعد سقوط الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية. وحاولت هذه الأرياح اقتلاع الإسلام من جذوره بحيث لا يبقى له أثر في حياة الناس، مستغلة ومستخدمة ما تملكه من قوة ونفوذ داخلي وتأييد غربي، وعملت على تغيير وجه تركيا الشرقي المسلم إلى الوجه العلماني الغربي، قاطعة كل صلة لها بماضي البلاد وحضارتها الإسلامية العتيقة، واستخدمت كل وسائل القمع والإرهاب والظلم لتحقيق مآربها.

وقد عاين بديع الزمان سعيد النورسي تلك الأماني والأشواق في صدور الأمة فيما يخص وحدتها وعلوها ورفعة دينها، فأدرك أن ذلك الأمر لا بد أن يتم يوما ما، فأخذ يبشر به ويسجله في رسائله مؤكدا أنه لا يمكن للبشرية أن تحقق الإعلاء الحقيقي من قيمة الحياة وهي معرضة عن أحكام القرآن العظيم، ولن تنال أمنا عاما ولن تطبق نظاما متآلفا متوازنا يحمل أسس الاستقرار الذاتي للبشرية خارج شرع الله تعالى.

هذا، وليعلم أنه كان يرى أننا إذا اهتممنا بالعلم وأهملنا الأخلاق فإن ذلك العلم يضيع هباء منثورا، ولن تبقى له أي قيمة تذكر، ويصير كل ما قمنا به من عمل لأجل تطوير العلم بدون جدوى، فيجب

---

[1] سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي (ص:٥٣٧)

الاهتمام بهما معا. فالعلم يكتمل بالأخلاق، والأخلاق تنضج بالعلم، لأن العلم والإيمان ثنائية لا يمكن التفريق بينهما. وتربى على أفكارها مئات الآلاف من الشباب والرجال والنساء. وانتشر النور القرآني وأضاء عتمة الليل الحالك في سماء تركيا، إنه نور الله الخالد على مدى الدهر، رسالة الأنبياء والأولياء والمصلحين المخلصين، إنه النور الذي لا تستطيع كل قوى الإلحاد والجاهلية مهما أوتيت من قوة أن تبدده، إنه نور الله الخالد ما بقي الليل والنهار وما بقيت الحياة على الأرض. وقام هذا النور بإصلاح المجتمع الإسلامي من نواح مختلفة:

من ناحية الدعوة إلى الاتفاق والاتحاد والصلح:

فيقول في تفسير الآية: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله". [١]

إن شأن الحق هو الاتفاق، وشأن الفضيلة هو التساند، وشأن التعاون هو إغاثة كل للآخر، وشأن الدين هو الأخوة والتكاتف، وشأن إلجام النفس وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال هو سعادة الدارين. [٢]

نعم، إنه لا يمكن العيش بسلام ووئام في مجتمع إلا بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام، أي بين الأغنياء والفقراء. وأساس هذا التوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص. [٣]

ويقول في تفسير الآية: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا". [٤]

وإن هذا العصر عصر الجماعة، إذ الشخصية المعنوية -التي هي روح الجماعة- أثبت وأمتن من شخصية الفرد. وهي أكثر استطاعة على تنفيذ الأحكام الشرعية. [٥]

وإنكم تعلمون أن ثلاث ألفات إذا كتبت منفردة متفرقة فقيمتها ثلاث، ولكن إذا اجتمعت بالتساند العددي فقيمتها مائة وواحد عشر. وحذار حذار من فتح باب النقد فيما بينكم [٦].

ويقول في موضع آخر:

إن أهم أساس لقوة المسلمين هو التساند فإن الأعداء يبغون تشتيت الأخوة وتمزيق شملهم. فاعلموا يا إخوتي! إن أهم أساس لقوتنا ونقطة استنادنا هي التساند. وإياكم النظر إلى تقصيرات بعضكم البعض. [٧]

---

[١] سورة آل عمران: ٦٤

[٢] الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي (ص: ٤٧٣)

[٣] الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي (ص: ٤٧٤)

[٤] سورة آل عمران: ١٠٣

[٥] المثنوي العربي النوري لبديع الزمان سعيد النورسي (ص: ٢٠٣)

[٦] الملاحق في فقه دعوة النور لبديع الزمان سعيد النورسي (ص: ٥٩)

[٧] الشعاعات لبديع الزمان سعيد النورسي (ص: ٣٦٤)

من ناحية قمع الشرور والفتن:

فيقول في تفسير قوله تعالى: "ولتجدنهم أحرص الناس على حياة"[١]، و"ولا تعثوا في الأرض مفسدين".[٢]

هذان الحكمان القاضيان في حق اليهود -الحرص والفساد- يتضمنان هذين الدستورين العامين المهمين اللذين يديرهما أولئك القوم في حياة المجتمع الإنساني بالمكر والحيل والخديعة. فالآية تبين أنهم هم الذين زلزلوا الحياة الاجتماعية الإنسانية، وأوقدوا الحرب بين الفقراء والأغنياء بتحريض العاملين على أصحاب رأس المال. وكانوا السبب في تأسيس البنوك بجعلهم الربا أضعافا مضاعفة، وجمعوا أموالا طائلة بكل وسيلة دنيئة بالمكر والحيل. هؤلاء القوم هم أنفسهم أيضا انخرطوا في كل أنواع المنظمات الفاسدة ومدوا أيديهم إلى كل نوع من أنواع الثورات أخذا للثأر هم من الشعوب الغالبة ومن الحكومات التي ذاقوا منها الحرمان وسامتهم أنواع العذاب.[٣]

من ناحية الدعوة إلى الأمن والسلامة:

فيقول في تفسير قوله تعالى: "من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا".[٤]

لا يضحي بفرد واحد لأجل الحفاظ على سلامة الجميع، إذ الحق هو حق ضمن إطار الرحمة الإلهية، فلا ينظر إلى كونه صغيرا أو كبيرا، لذا لا يفدى بالصغير لأجل الكبير، ولا بحياة فرد وحقه لأجل سلامة جماعة، والحفاظ عليها إن لم يكن له رضى في الأمر. أما إذا كانت التضحية برضاه ورغبة منه فهي مسألة أخرى.[٥]

من ناحية حثهم على الأخوة والمحبة والصلح والمساواة:

فيقول في تفسير قوله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم"[٦]، و"ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"[٧]، و"والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين".[٨]

---

[١] سورة البقرة: ٩٦
[٢] سورة البقرة: ٦٠
[٣] الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي (ص: ٤٦٥)
[٤] سورة المائدة: ٣٢
[٥] المكتوبات لبديع الزمان سعيد النورسي (ص: ٦٧)
[٦] سورة الحجرات: ١٠
[٧] سورة فصلت: ٣٤
[٨] سورة آل عمران: ١٣٤

إن ما يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المـؤمنين، ومـا يـوغر فـي صدورهم من حقد وغل وعداء مرفوض أصلا، ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى. فضلا عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة.[١] والعداء ظلم في نظر الحكمة إذ العداء والمحبة نقيضان، فهما كالنور والظلام لا يجتمعان معا بمعناهما الحقيقي أبدا.[٢]

نعم! إن الإيمان بعقيدة واحدة يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحـد، ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع. وكيف لا! إن خالقكما واحد، مالكما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف. ثم إن نبيكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة. ثم إنكما تعيشان معا في قرية واحدة تحت ظل دولة واحدة، في بلاد واحدة، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة. فلئن كان هناك إلى هذا القدر من الروابط التي تستدعي الوحدة والتوحيد، والوفاق والاتفاق، والمحبة والأخوة، ولها من القوة المعنوية ما يربط أجزاء الكون الهائلة، فما أظلم من يعرض عنها جميعا ويفضل عليها أسبابا واهية أوهن من بيت العنكبوت. فإن تلك التي تولد الشقاق والنفاق والحقد والعداء. فيوغر صدره عداء وغلا حقيقيا مع أخيه المؤمن! أليس هذا إهانة بتلك الروابط التي توحد؟ واستخفافا بتلك الأسباب التي توجب المحبة؟ واعتسافا لتلك العلاقات التي تفرض الأخوة؟ فإن لم يكن قلبك ميتا ولم تنطفئ بعد جذوة عقلك فستدرك هذا جيدا.[٣]

أيها السادة! رسائل النور تنبه على دسائس الشيطان، ومنها:

- حب الجاه والشهرة
- والشعور بالخوف
- والطمع الذي هو سبب الحرمان وداء مضر على حياة المسلمين، وهو ضد القناعة التي هي كنز لا يفنى.
- وإثارة النعرة القومية
- والأنانية والغرور
- وحب الراحة

---

[١] المكتوبات لبديع الزمان سعيد النورسي (ص:٣٣٩)
[٢] المصدر السابق (ص:٣٤٠)
[٣] المصدر السابق (ص:٣٤١)

-وتسنم الوظائف
-وانتقاد الإخوان

وهي تعلن بأن أعداء الإسلام من اليهود والنصارى يودون انقسام المجتمع إلى طوائف وقبائل، وظالمو أوربا يثيرون فكرة القومية بشكلها السلبي، ويفرقون بين أقوام آسيا وأوربا، ويغالون في العنصرية وحمية الجاهلية التي أعدمها الإسلام في أول يوم. ولذلك يقول النورسي:

يامعشر أهل الإيمان! إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية وأنانيتكم وتحزبكم، فقوة قليلة جدا تتمكن من أن تذيقكم الذل والهلاك. فإن كنتم حقا مرتبطين بملة الإسلام فاستشهدوا بالدستور النبوي العظيم.

"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا". [١]

وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا وتنجون من شقاء الآخرة[٢].. فإن محبة الله تستلزم اتباع السنة الطاهرة لمحمد صلى الله عليه وسلم، لأن حب الله هو العمل بمرضياته، وإن مرضاته تتجلى بأفضل صورها في ذات محمد صلى الله عليه وسلم. [٣]

وهو ينصح طلبة النور، فيقول: ألا يواجهوا المعارضين بالحدة والتهور ولا يقابلهم بالمثل بل عليهم أن يكتفوا بالدفاع عن أنفسهم فحسب مع إظهار روح المصالحة والإجابة عن نقاط الاعتراض. [٤]

المساواة ليست في الفضيلة والشرف. فالسلطان الملك والفقير المسكين كلاهما سيان في الحقوق.. فياللعجب إن الشريعة التي نهت عن تعذيب نملة وأمرت ألا تداس عمدا أتهمل حقوق بني آدم؟ كلا! ولكن نحن الذين لم نمتثل الشريعة. [٥]

من ناحية الدعوة إلى الدين القيم:

إنك إذا رأيت أحدا يسلك في طريق تنجر إلى هلاكه فأولا تنصحه قائلا له: مذهبك هذا ينهار بك في البوار فتجنب. وإن لم ينته بنهاه تعود عليه بالزجر والنهي والنعي وتؤيد نهيك وتديمه في ذهنه إما بتخويفه بنفرة العموم وإما بترقيق قلبه بالشفقة الجنسية. [٦]

---

[١] البخاري: ٤٨١، ٣٤٤٦، ٦٠٢٧، ومسلم: ٢٥٨٥، ٢٦٢٧.
[٢] المكتوبات لبديع الزمان سعيد النورسي (٢/٣٥٠)
[٣] اللمعات لبديع الزمان سعيد النورسي (ص:٩٣-٩٤)
[٤] الملاحق في فقه دعوة النور لبديع الزمان سعيد النورسي (ص:١٩٩)
[٥] صيقل الإسلام أو آثار سعيد القديم لبديع الزمان سعيد النورسي (ص:٣٩٨)
[٦] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز لبديع الزمان سعيد النورسي (ص:٩٨)

ويقول في تفسير الآية: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون". [١]

إن إقامة الصلاة واجتناب الكبائر وظيفة حقيقية تليق بالإنسان ونتيجة ملائمة مع خلقته. فالذي يترك صلاته لأجل هموم العيش مثله كمثل ذلك الجندي الذي يترك تدريبه وخندقه ويتسول متسكعا في الأسواق. فيا نفسي! إن كنت تجعلين الحياة الأخرى غاية المقصد وأفرغت في سبيلها جهدك فسوف تكونين في حكم أصغر عصفور [٢]. فـ "إن الدين عند الله الإسلام". ولولا الدين الحق لتحولت الدنيا إلى سجن رهيب، وأن الشخص الملحد هو أشقى المخلوقات [٣]. وإن كل من يجعل الحياة الفانية مبتغاة فسيكون في جهنم حقيقة ومعنى حتى لو كان يتقلب ظاهرا في بحبوحة النعيم. وإن كل من كان متوجها إلى الحياة الباقية ويسعى لها بجد وإخلاص فهو فائز بسعادة الدارين وأهل لهما معا حتى لو كانت دنياه سيئة وضيقة، إلا أنه سيراها حلوة طيبة، وسيراها قاعة انتظار لجنته، فيتحملها ويشكر ربه فيها وهو يخوض غمار الصبر [٤]. وما هي حقيقة الدنيا؟ اعلم أنها دار ضيافة، وأنت فيها ضيف مكرم، فكل واشرب بإذن صاحب الضيافة والكرم، وقدم له الشكر، ولا تتحرك إلا وفق أوامره وحدوده، وارحل عنها دون أن تلتفت إلى ورائك. وإياك أن تتدخل بفضول بأمور لا تعود إليك ولا تفيدك بشيء، فلا تغرق نفسك بشؤونها العابرة التي تفارقك [٥].

أيتها النفس! لا تقلدي أهل الدنيا، ولا سيما أهل السفاهة وأهل الكفر خاصة، منخدعة بزينتهم الظاهرية الصورية، ولذائذهم الخادعة غير المشروعة. [٦]

فالإنسان الذي تاه في كثرة المخلوقات وغرق في الكائنات، وأخذ حب الدنيا بلبه حتى غره تبسم الفانيات وسقط في أحضانها، لا شك أن هذا الإنسان يخسر خسرانا مبينا، إذ يقع في الضلال والفناء والعدم، أي يعدم نفسه معنى. [٧]

وإن أسعد إنسان هو من لا ينسى الآخرة لأجل الدنيا، ولا يضحي بآخرته للدنيا، ولا يفسد حياته الأبدية لأجل حياة دنيوية، ولا يهدر عمره بما لا يعنيه، ينقاد للأوامر انقياد الضيف للمضيف، ليفتح باب القبر بأمان، ويدخل دار السعادة بسلام. [٨]

---

[١] سورة النحل: ١٢٨
[٢] الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي (ص: ١٨-٢٠)
[٣] المصدر السابق (ص: ٣١)
[٤] المصدر السابق (ص: ٣٧)
[٥] المصدر السابق (ص: ٢٢٥)
[٦] المصدر السابق (ص: ٤١٧)
[٧] المصدر السابق (ص: ٤١٨)
[٨] المكتوبات لبديع الزمان سعيد النورسي (ص: ٨٩)

ولكن أيواه! وا أسفاه!. قد أظهرت هذه المدنية السفيهة خوارق جلابة وملاهي جذابة، يتساقط إليها سكان قصور الإنسان ومخدراتها، كتساقط الفراش على النور المشرق المنقلب إلى النار المحرقة.[1]

وكان يرى النورسي أن المستقبل للإسلام إذا اجتمعت أربع أو خمس قوى، وهي:

-قوة الإسلام الحقيقية المدعمة بالمعرفة والمدنية

-وقوة الحاجة المجهزة بتوافر الوسائل وتكمل المبادئ والأسباب

-وقوة المنافسة والغبطة والغيظ المضمر

-وقوة استعداد الفطرة المجهز بتوحيد الكلمة الذي هو دستور الموحدين، وبدماثة الخلق والاعتدال الذي هو خاصة الوضع الحاضر.. وبتنوير الأذهان الذي هو ضياء الزمان.. وبتلاحق الأفكار الذي هو قانون المدنية.. وبسلامة الفطرة التي هي لازمة البداوة.. وبالخفة والإقدام وهما ثمرة الضرورة

-وقوة الرغبة في التحضر والتمدن والنزوع إلى التجدد والتقدم المادي -الذي يتوقف عليه إعلاء كلمة الله في هذا الوقت- التي يأمر بها الإسلام ويدفع إليها الزمان ويلجأ إليها الفقر الشديد والأمل الباعث للحياة بموت اليأس القاتل لكل رغبة. وإن ما يفتح حظ آسيا وسعد الإسلام هو الشورى والحرية المشروطتان بتربية الشريعة الغبراء.[2]

وهو يثني على الأمة قائلا: إن هذه الأمة الإسلامية مع أن قسما منهم لا يؤدون الصلاة إلا أنهم يتطلعون أن يكون رؤساؤهم صالحين أتقياء حتى لو كانوا هم فسقة، بل إن أول ما يبادر أهل كردستان- الولايات الشرقية- مسؤوليهم هو سؤالهم عن صلاتهم.[3]

وفحوى الكلام هو أن بديع الزمان سعيد النورسي كان مصلحا ومفسرا كبيرا، أثبت في تفسيره حقائق الإيمان أمام الضغوط الصارمة من الإلحاد والشيوعية، ودعا المجتمع الإسلامي إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، ووضع بين يديه أمثلة عصرية تكنولوجية، داعيا وضاجرا معا، يا من اطمأن إلى الدنيا!، يا من فيه العصبية الجاهلية!، أين يتيهون!، أيها المتنبهون النائمون!، ما أجهل الغافل!، آمن تؤمن! وما إلى ذلك.

---

[1] المثنوي العربي النوري لبديع الزمان سعيد النورسي (ص:١٩١)

[2] صيقل الإسلام أو آثار سعيد القديم لبديع الزمان سعيد النورسي (ص:٥٥-٥٧)

[3] المثنوي العربي النوري لبديع الزمان سعيد النورسي (ص:٢٠١)

ووصل أن هناك أسباب التخلف التي جعلتنا نقف على أعقاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب -وخاصة الأوربين- نحو المستقبل، وهي:

- حياة اليأس
- وموت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية
- وحب العداوة
- والجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض
- وسريان الاستبداد وسريان الأمراض المعدية المتنوعة
- وحصر الهمة في المنفعة الشخصية
- وفقدان الإخلاص
- وعدم الشعور بالحاجة إلى القوة الكامنة في الاتفاق، وعلاجه الحب في الله والبغض في الله
- وتشتت النظر ضمن مسائل مهمة، وعلاجه العفو عن هفوات الآخرين والصفح عنهم والمرور على المنازعات مر الكرام والدعوة إلى تركها
- وعدم الحفاظ على فضائل منهج الحق والعجز عن العمل ضمن مناقشة شريفة، وعلاجه اتهام المرء نفسه والانحياز إلى نهج الحق
- وسوء علو الهمة المفضي إلى الاختلاف، وعلاجه هو العلم بأن رضى الله ينال بالإخلاص لا بكثرة الاتباع
- والعجز عن الثبات على الاستقامة، وعلاجه هو ربط المحبة مع السالكين في منهج الحق مع ترك شرف القدوة لهم.

وكانا يحثان المؤمنين الذين عارضوا الظلم بشجاعة على العض على القرآن والسنة، والتأسي بالصحابة والتابعين، والقيام بالحفاظ على هيمنة الإسلام في البلاد بشكل حضاري، والعمل بـ"خذ ما صفا ودع ما كدر".

وأخيرا أذكر نقطة استنادهما، وهي: لا تيأس أيها المسلم! فإن لك نقطة استناد عظيمة وركيزة لا تتزعزع قط، وجيوشا جرارة لا تغلب وقوى احتياطية لا تنفد، فلو اجتمعت عليك الدنيا بأسرها لا يمكنها أن تبارز تلك القوى وتتحداها.. أما سبب انهزامك في الوقت الحاضر فهو إرسالك جنديا واحدا ليقابل جماعة منظمة وشخصا معنويا. فاسمع أيها المسلم! ليكن كل جندي من جنودك في

حكم جماعة، وبمثابة شخص معنوي يستمد معنوياته من الدوائر المحيطة به. ومن الغريب الواقع أن المسلمين قد أصبحوا في الزمن الأخير في كثير من نواحي الأرض حتى في مراكز الإسلام وعواصمه حلفاء للجاهلية الأوربية وجنودا متطوعين لها. وهذه هي الأمة التي يمكن أن تعود في حين من الأحيان خطرا على النظام الجاهلي الذي بسطته أوربا في الشرق والغرب وأن تحبط مساعيها.

***

المصادر والمراجع:

كليات رسائل النور لـ بديع الزمان سعيد النورسي التي قام بترجمتها إحسان قاسم الصالحي من اللغة التركية إلى اللغة العربية استقيت منها، وهي:

١- الكلمات، طبعة ثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، طبع: شركة "سوزلر" للطباعة، نشر: "دار سوزلر" للنشر- إستانبول، تركيا.

٢- المكتوبات، طبعة أولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، طبع: شركة "النسل" للطباعة، نشر: "دار سوزلر" للنشر- إستانبول، تركيا.

٣- اللمعات، طبعة أولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، طبع: شركة "النسل" للطباعة، نشر: "دار سوزلر" للنشر- إستانبول، تركيا.

٤- الشعاعات، طبعة أولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، طبع: شركة "النسل" للطباعة، نشر: "دار سوزلر" للنشر- إستانبول، تركيا.

٥- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، طبعة ثالثة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، طبع: شركة "سوزلر" للطباعة، نشر: "دار سوزلر" للنشر-إستانبول، تركيا.

٦- المثنوي العربي النوري، طبعة رابعة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، طبع: شركة "النسل" للطباعة، نشر: "دار سوزلر" للنشر-إستانبول، تركيا.

٧- الملاحق في فقه دعوة النور، طبعة أولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، طبع: شركة "النسل" للطباعة، نشر: "دار سوزلر" للنشر-إستانبول، تركيا.

٨- صيقل الإسلام أو آثار سعيد القديم، طبعة أولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، طبع: شركة "النسل" للطباعة، نشر: "دار سوزلر" للنشر-إستانبول، تركيا.

٩- سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي، إعداد: إحسان قاسم الصالحي، طبعة أولى، ٢٠١٠م، طبع ونشر: "دار سوزلر" للنشر-إستانبول، تركيا.

***

شخصية إسلامية

الدكتور مقتدى حسن الأزهري ودوره في الصحافة

(٢-٢)

مخلص الرحمن
جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

أسلوبه في الصحافة:

إن كلمة أسلوب صارت حقا مشاعا في هذه الأيام، تتردد على ألسنة كثيرة في بيئات متعددة بدلالات متنوعة، كما أنها تستعمل في بعض الحالات للدلالة على منهج البحث وقد ترادف كلمة "منهج"، وكلمة أسلوب "style" تطلق على العبارة اللغوية وهي في عرف الدارسين تنطلق إلى الجانب اللفظي، فمصطلح الأسلوب "style" ينصب بداهة على العنصر اللفظي، فهو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال وهو العبارة اللفظية المنسقة لأداء المعاني. وهو عند جينانج Genung طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير.[1]

إن الدكتور الأزهري قد درس اللغة العربية دراسة عميقة وأتقنها إتقانا جيدا في بيئات مختلفة عايشها في مسقط راسه مدينة مئونات بنجن، ثم في جامعة الأزهر في مصر —ملجأ اللغة العربية وآدابها— وفي جامعة عليكره المسلمة، الهند، ثم صقلها بقراءته ومطالعته المتواصلة حتى أصبح من كبار الصحفيين والكتاب الهنود، وكتاباته نالت صيتا ذائعا وقبولا عاما بين الأوساط العلمية والأدبية في الهند وخارجها، فله إلمام تام بالصحافة وقدرة فائقة على استخدام الكلمات العربية وجملها. فإذا يأخذ القلم بيده كانت الألفاظ تتبادر إلى ذهنه حسب سياق الكلام ويستخدمها بحذر وحيطة، ويستخدم الصلات حسب الأفعال والأسماء، فلا ترون أثر العجمة في كلامه وعباراته، وكان يجتنب عن استعمال الألفاظ الصعبة والكلمات الضخمة كما هي عادة لدى بعض الكتاب الهنود، ولا تجدون في عباراته كلفا بالزخرف ولا تكلفا في الأداء، وكان يتحاشى عن كثرة الألفاظ المترادفة والكلمات المتجانسة، وكانت جمله متناسقة شديدة الارتباط في التراكيب، متحلية بالسلاسة، والجاذبية، والخلابة، والتلازم الشديد بين الفقرات والجمل التي تشنف الآذان وتسر القراء والسامعين.

[1] أسلوب طه حسين للدكتور البدراوي زهران ص: ٩-١٠

و لا يقل أسلوبه روعا و بهاء في الموضوعات الدينية التي تعد جافة من حيث الجمال والروعة [١]، أنقل فيما يلي فقرتين من موضوع ديني لإثبات هذه الميزة الممتازة: إنه يقول- وهو يذكر أهمية كرامة الإنسان تحت عنوان "و يسفك الدماء........."، "والإسلام في تكريمه هذا للإنسان لا يفرق بين عنصر و عنصر، و جنس و جنس، بل يؤكد أن الجميع سواء في حق التكريم، وإلى هذا يهدي قول النبي صلى الله عليه و سلم: كلكم آدم و آدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى". [٢] ويقول في موضع آخر في نفس المقال "فالتسامح والصفح الجميل هو السياسة الإسلامية التي رسمتها النبوة في العلاقة بين الناس بعضهم مع البعض، وخصوصا بين المسلمين وغيرهم، ونرى هذه السياسة مطبقة في علاقات النبي صلى الله عليه و سلم بالمشركين وغيرهم في معاهداته و في حروبه، وأبرز مثال لهذا التسامح ما وقع في صلح الحديبية، وهو الصلح الذي عقد بين النبي عليه السلام و بين المشركين عندما أراد أن يحج فمنعوه وأبوا أن يدخل البيت الحرام، و قد كان أساس هذا الصلح شططا من جانب المشركين، و لكن الحكمة النبوية السامية قد آثرت الصبر و السماحة فحقنت الدماء التي كانت توشك أن تراق". [٣]

مجلة صوت الأمة : مكانتها وأهدافها ودور الدكتور الأزهري فيها:

إن هذه المجلة تحتل مكانة مرموقة في الأوساط العلمية و الأدبية، ونالت احتراما وتقديرا و إعجابا من الكتاب العرب و العجم، وأسهمت إسهاما فعالا في تعميم اللغة العربية والعلوم الإسلامية والثقافة الدينية داخل الهند و خارجها، نحن نعلم أن الأوضاع ما كانت مواتية وقت إنشاء هذه المجلة عام ١٩٦٩م لقلة الكتاب و القراء في اللغة العربية، ولكن الدكتور الأزهري بذل قصارى جهوده في إصدارها بانتظام، ونفخ روح الحياة و النشاط في أهل العلم و الأدب، وقام بإرساء دعائم صحافة عربية بناءة في بلد غير ناطق العربية وأوصلها إلي قمة عالية من الصحافة بجهوده الجبارة في مدة أربعين سنة من إشرافه عليها. وهي تعتبر الآن من أبرز المجلات العربية الصادرة في الهند، وأثبتت مكانتها في العالم العربي أيضا بأسلوبها ولغتها وأهدافها المنشودة.

---

[١] ملخصا من مجلة "السراج" الأردنية، أبريل- يوليو ٢٠١٠ ص: ٨٢.
[٢] صوت الأمة يوليو ٢٠١٠م ص: ٨ نقلا من صوت الجامعة، ديسمبر ١٩٧٢م.
[٣] المصدر السابق.

لا شك أن لكل مجلة أهدافها و مقاصدها تسعي للحصول عليها و تهدف إلي نيلها، فهذه المجلة أيضا لها أهدافها و مقاصدها: و منها إعلاء كلمة الله، و مقاومة الأفكار الدخيلة، و التيارات المنحرفة، و مؤازرة الكتاب و الأدباء الإسلاميين، و إيقاظ الروح الدينية، و بث الوعي الإسلامي، و نشر العلوم الإسلامية و العربية و غيرها.[1]

فهي استمرت في الصدور و حاولت الحفاظ علي أهدافها منذ بدايتها، و احتوت علي المقالات في بيان العقيدة الصحيحة، و إبطال العقائد الفاسدة و الأفكار الضالة، و ذكر محاسن الإسلام و ميزاته، و شرح الأحكام الدينية و المعاملات الشرعية، و الرد العلمي علي الشكوك و الشبهات التي كانت و مازالت تثار حول منهج السلف الصالح، و المحجة البيضاء التي تركنا عليها النبي صلى الله عليه و سلم. و بجانب إحاطتها الموضوعات الساخنة حسب الأوضاع و الأحوال، قامت بتعريف الشخصيات العلمية البارزة و خدماتهم و مآثرهم. فقد لعب الدكتور دورا مهما في نشر هذه الموضوعات المتنوعة لشخصيات بارزة في العالم العربي و الإسلامي، مثل:

١- سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله مفتي المملكة العربية السعودية السابق.

٢- الأديب الإسلامي الكبير العلامة الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي رحمه الله.

٣- فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل حفظه الله و تولاه الإمام و الخطيب في المسجد الحرام.

٤- فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس حفظه الله و تولاه إمام الحرم المكي.

٥- فضيلة الدكتور صالح غانم السدلان أستاذ الدراسات العليا بجامعة محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض.

٦- فضيلة الشيخ الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل حفظه الله و تولاه.[2]

هذه هي الأسماء البارزة المشهودة بفضلها و كمالها في العالم لعلو مكانتها و شأنها، و هم نجوم متلألئة في سماء العلم و الأدب، و الدعوة و الإرشاد، و قد تزينت المجلة بمقالاتهم الممتازة العامرة بروح العلم و الأدب. و هناك عدد كبير من العلماء و الكتاب العرب الذين تنشر مقالاتهم في هذه المجلة.

---

[1] مذكورة في الصفحة الأخيرة لكل عدد من المجلة.

[2] السراج، العدد الخاص ٢٠١٠ص: ٣٥.

هذا، و إن المجلة قد أعطت صفحاتها النيرة للعلماء الهنود الذين لهم إلمام واسع ومعرفة غزيرة باللغة العربية و آدابها، وإن الدكتور قد أخذ الحيطة و الحذر في انتخاب الكتاب الهنود الذين كانوا يرسلون مقالاتهم للنشر في هذه المجلة الغراء، فما كان ينشر إلا بعد التأكد من سلامة تعبيرهم و فصاحة لسانهم و تلاؤم مقالاتهم بأهداف المجلة ومكانتها، وكان يحرص علي نشر المقالات التي كتبها أبرز كتاب اللغة العربية في الهند ليكون لها أثر عميق علي النفس و تخلق انطباعات جميلة في أذهان القراء و الدارسين، و ها هي أسماء بعض الشخصيات الكبار الهنود التي كان ينشر مقالاتهم حينا لآخر:

فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري (حاز هذا الكاتب على المركز الأول في مسابقة السيرة النبوية العالمية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي عام١٣٩٦ه)

فضيلة الشيخ صلاح الدين مقبول حفظه الله (مقيم في الكويت).

فضيلة الدكتور عبد العلي الأزهري حفظه الله (مقيم في بريطانيا).

فضيلة الدكتور عبد الرحمن الفريوائي حفظه الله (مقيم في المملكة العربية السعودية بالرياض).

فضيلة الدكتور عبد العليم البستوي حفظه الله (مقيم في المكة المكرمة).[1]

و إلي جانب نشر مقالات هؤلاء الرجال الكبار من الهنود و العرب و أمثالهم كان يكتب الدكتور الأزهري المقالات الأدبية و العلمية المؤثرة الرصينة و الافتتاحيات الجامعة الرشيقة الملائمة حسب الأوضاع و الأحوال، فتزداد المجلة حسنا و جمالا، و بهاء و روعة، و هذا العلم الوحيد و الركن الركين المنفرد الذي كانت تعتمد عليه المجلة في كل الأحوال و الظروف بلغ بالمجلة إلي ذروة الكمال و أوج المكانة التي ما هي عليها الآن بل جعلها الدكتور الأزهري بثاقب نظره، و حدة ذكائه، وعمق تفكيره ترجمانا لأهدافها المنشودة، و جسرا للتواصل و الترابط بين العرب و العجم ومائدة التف حولها أكابر الفنون المختلفة متعددوا الجنسية لتبادل آرائهم و أفكارهم ومشاعرهم و أحاسيسهم.

ندوة علمية عن الصحافة الإسلامية تحت رئاسة الدكتور الأزهري:

إن الدكتور الأزهري قد بذل جهودا جبارة في إرساء دعائم صحافة عربية إسلامية هادفة، و رفع مكانتها في الصحافة العالمية منذ ارتباطه بالصحافة و توليه رئاسة التحرير لمجلة "صوت الأمة".

---

[1] المصدر السابق، العدد الخاص ٢٠١٠ ص: ٣٦

ومن جهوده المشكورة في رفع مكانة الصحافة أنه لعب دورا رياديا في عقد "ندوة علمية عن الصحافة الإسلامية" للبحث والمناقشة عن الإمكانيات والسبل الكفيلة لإيجاد التعاون والتنسيق بين هذه الجرائد والمجلات، واتخاذ الموقف الموحد نحو المسائل المستجدة في السياسات الهندية والعالمية، وعن ضرورة استخدام الصحافة الهادفة البناءة في مجال الدعوة والإرشاد وفي مجال تربية الجيل الناشئ تربية إسلامية صالحة، ومواجهة الكتابات المضادة للإسلام وتعاليمه التي تظهر بين حين وآخر في الصحافة الهندية والعالمية والرد عليها ردا علميا موضوعيا، وكذلك عن ضرورة التركيز على التنويه بعلماء أهل الحديث وإبراز جهودهم وتاريخهم، وإصدار جريدة يومية أو نصف أسبوعية تعتني باستعراض المسائل والمشاكل التي تتعرض لها المسلمون في الهند وغيرها، وتقديم الحلول المناسبة لها في ضوء الكتاب والسنة، وتدعيم الصحافة الإسلامية تدعيما يرفع من معنويتها بحيث يكون لها ثقل في الصحافة الوطنية وغير ذلك من المسائل المهمة والموضوعات الحساسة.[1]

وتم عقد هذه الندوة العلمية بتوفيق من الله تعالى وعون منه في الجامعة السلفية في ٢-٣ من شهر نوفمبر سنة ١٩٩٢م تحت رئاسة الدكتور الأزهري، قد ساهم فيها كثير من المدعوين من أصحاب ومدراء الجرائد والمجلات السلفية الصادرة في الهند.

إن هذه الندوة العلمية احتوت على جلسات متعددة انعقدت في أوقات مختلفة طوال اليومين الكاملين، قدمت فيها عدة مقالات لأساتذة الجامعة والوفود المشاركة حول الصحافة الإسلامية وأهميتها، وماينبغي اتخاذه من خطوات وإجراءات لتحسين أوضاع الصحافة الإسلامية الراهنة في الهند، وخصصت بعض الجلسات منها للحوار المفتوح والنقاش البناء وتبادل الآراء، وبعد المناقشة والمداولة الطويلة المتأنية خرج المشاركون في الندوة بقرارات وتوصيات هامة، وهي تشتمل على اثني عشر بندا، وكل بند من بنود هذه التوصيات له أهمية بالغة في تحقيق الغاية والوصول إلى الأهداف التي عقدت لأجلها هذه الندوة، وقد تم تشكيل لجنة مصغرة للاتصال بالمعنيين وحثهم على تنفيد القرارات والتوصيات. وقد صدر عدد خاص لمجلة "محدث" (مايو، يونيو ١٩٩٣م) التي احتوت على المقالات التي تم عرضها في هذه الندوة من أصحاب ومديري الجرائد والمجلات الصادرة في الهند، فمن يريد الاطلاع عليها، يمكن له الرجوع إلى هذا العدد الخاص.**

---

[1] صوت الأمة، أكتوبر ١٩٩٢م ص: ٥٧

التحلي بالعمل

د. بكر بن عبد الله أبو زيد

٤٤- من علامات العلم النافع:

تساءل مع نفسك عن حظك من علامات العلم النافع، وهي:

١- العمل به.

٢- كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق.

٣- تكاثر تواضعك كلما ازددت علما.

٤- الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا.

٥- هجر دعوى العلم.

٦- إساءة الظن بالنفس، وإحسانه بالناس، تنزها عن الوقوع بهم. وقد كان عبد الله بن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف، ينشد:

لا تعرضنَّ بذكرهم مع ذكرنا
ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

٤٥- زكاة العلم:

أدِّ "زكاة العلم" صادعا بالحق، أمارا بالمعروف، نهاء عن المنكر، موازنا بين المصالح والمضار، ناشرا للعلم، وحب النفع، وبذل الجاه، والشفاعة الحسنة للمسلمين، في نوائب الحق والمعروف.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" رواه مسلم وغيره.

قال بعض أهل العلم[1]: هذه الثلاث لا تجتمع إلا للعالم الباذل لعلمه، فبذله صدقة، ينتفع بها، والمتلقي لها ابن للعالم في تعلمه عليه.

---

[1] تذكرة السامع والمتكلم.

فاحرص على هذه الحلية فهي رأس ثمرة علمك ولشرف العلم فإنه يزيد بكثرة الإنفاق، وينقص مع الإشفاق، وآفته الكتمان.

ولا تحملك دعوى فساد الزمان، وغلبة الفساق، وضعف إفادة النصيحة، عن واجب الأداء والبلاغ، فإن فعلت فهي فعلة يسوق عليها الفساق الذهب الأحمر، ليتم لهم الخروج على الفضيلة، ورفع لواء الرذيلة.

٤٦- عزة العلماء:

التحلي بـ "عزة العلماء": صيانة العلم وتعظيمه، وحماية جناب عزه وشرفه، وبقدر ما تبذله في هذا يكون الكسب منه ومن العمل به، وبقدر ما تهدره يكون الفوت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، وعليه:

فاحذر أن يتمندل بك الكبراء، أو يمتطيك السفهاء، فتلاين في: فتوى، أو قضاء، أو بحث، أو خطاب...

ولا تسعى به إلى أهل الدنيا، ولا تقف به على أعتابهم، ولا تبذله إلى غير أهله وإن عظم قدره. ومتع بصرك وبصيرتك بقراءة التراجم والسير لأئمة مضوا، ترى فيها بذل النفس في سبيل هذه الحماية، لاسيما من جمع مُثُلا في هذا مثل: كتاب "من أخلاق العلماء" لمحمد سليمان رحمه الله تعالى [١]، وكتاب "الإسلام بين العلماء والحكام" لعبد العزيز البدري رحمه الله تعالى، وكتاب "مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لفاروق السامرائي [٢]. وأرجو أن ترى أضعاف ما ذكروه في كتاب "عزة العلماء" يسر الله إتمامه وطبعه.

وقد كان العلماء يلقنون طلابهم حفظ قصيدة الجرجاني: علي بن عبد العزيز (م سنة ٣٩٢هـ) رحمه الله تعالى كما نجدها عند عدد من مترجميه، ومطلعها:

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلا عن موضع الذل أحجما

أرى الناس من دانهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

---

[١] مطبوع مرارا.

[٢] طبع بجدة عام ١٤٠٧هـ نشر دار الوفاء بجدة.

"لعظما" بفتح "الظاء" المعجمة المشالة.

٤٧– صيانة العلم:

إن بلغت منصبا فتذكر أن حبل الوصل إليه "طلبك للعلم" فبفضل الله ثم بسبب علمك بلغت ما بلغت من ولاية في: التعليم، أو الفتيا، أو القضاء، وهكذا، فاعط العلم قدره، وحظه من العمل به، وإنزاله منزلته، واحذر مسلك من لا يرجون لله وقارا، الذين يجعلون الأساس "حفظ المنصب"، فيطوون ألسنتهم عن قول الحق، ويحملهم حب الولاية على المجاراة، فالزم – رحمك الله – المحافظة على قيمتك بحفظ دينك، وعلمك، وشرف نفسك، بحكمة ودراية وحسن سياسة "احفظ الله يحفظك، احفظ الله في الرخاء يحفظك في الشدة...".

وإن أصبحت عاطلا من قلادة الولاية، وهذا سبيلك ولو بعد حين، فلا بأس، فإن هذا عزل محمدة لا عزل مذمة ومنقصة.

ومن العجيب أن بعض من حرم قصدا كبيرا من التوفيق لا يكون عنده الالتزام والإنابة والرجوع إلى الله إلا بعد "التقاعد" فهذا وإن كانت توبته شرعية لكن دينه ودين العجائز سواء، إذ لا يتعدى نفعه، أما وقت ولايته، حال الحاجة إلى تعدى نفعه، فتجده من أعظم الناس فجورا وضررا، أو بارد القلب أخرس اللسان عن الحق، فنعوذ بالله من الخذلان.

٤٨– المداراة لا المداهنة:

المداهنة خلق منحط، أما المداراة فلا، لكن لا تخلط بينهما فتحملك المداهنة إلى حضار النفاق مجاهرة، والمداهنة هي التي تمس دينك. [١]

٤٩– الغرام بالكتب [٢]:

شرف العلم معلوم لعموم نفعه، وشدة الحاجة إليه كحاجة البدن إلى الأنفاس، وظهور النقص بقدر نقصه، وحصول اللذة والسرور بقدر تحصيله، ولهذا اشتد غرام الطلاب بالطلب والغرام بجمع الكتب مع الانتقاء، ولهم أخبار في هذا تطول، وفيه مقيدات في "خبر الكتاب" يسر الله إتمامه وطبعه.

---

[١] انظر: الغرباء للآجري ص٧٩–٨٠–مهم.

[٢] انظر: روضة المحبين ص٦٨–٦٩ مهم، ومفتاح دار السعادة ص٨١، ففيهما أخبار ظريفة وحكايات طريفة.

وعليه: فأحرز الأصول من الكتب، واعلم أنه لا يغني منها كتاب عن كتاب، ولا تحشر مكتبتك وتشوش على فكرك بالكتب الغثائية، لا سيما كتب المبتدعة فإنها سم ناقع.

٥٠– قوام مكتبتك:

عليك بالكتب المنسوجة على طريقة الاستدلال، والتفقه في علل الأحكام، والغوص على أسرار المسائل. ومن أجلها كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى، وعلى الجادة في ذلك من قبل ومن بعد كتب:

١– الحافظ ابن عبد البر (م سنة ٤٦٣هـ) رحمه الله تعالى، وأجل كتبه "التمهيد".

٢– الحافظ ابن قدامة (م سنة ٦٢٠هـ) رحمه الله تعالى، وأرأس كتبه "المغني".

٣– الحافظ ابن الذهبي (م سنة ٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى.

٤– الحافظ ابن كثير (م سنة ٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى.

٥– الحافظ ابن رجب (م سنة ٧٩٥هـ) رحمه الله تعالى.

٦– الحافظ ابن حجر (م سنة ٨٥٢هـ) رحمه الله تعالى.

٧– الحافظ الشوكاني (م سنة ١٢٥٠هـ) رحمه الله تعالى.

٨– الإمام محمد بن عبد الوهاب (م سنة ١٢٠٦هـ) رحمه الله تعالى.

٩– العلامة الصنعاني (م سنة ١١٨٢هـ) رحمه الله تعالى لا سيما كتابه النافع "سبل السلام".

١٠– العلامة صديق حسن القنوجي (م سنة ١٣٠٧هـ) رحمه الله تعالى.

١١– العلامة محمد الأمين الشنقيطي (م سنة ١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى لا سيما كتابه: "أضواء البيان".

٥١– التعامل مع الكتاب:

لا تستفد من كتاب حتى تعرف اصطلاح مؤلفه فيه، وكثيرا ما تكون المقدمة كاشفة عن ذلك، فابدأ من الكتاب بقراءة مقدمته.

٥٢– ومنه:

إذا حزت كتابا فلا تدخله في مكتبتك إلا بعد أن تمر عليه جردا، أو قراءة لمقدمته، وفهرسه، ومواضع منه، أما إن جعلته مع فنه في المكتبة فربما مر زمان وفات العمر دون النظر فيه، وهذا مجرب، والله الموفق.

٥٣– إعجام الكتابة:

إذا كتبت فأعجم الكتابة بإزالة عجمتها وذلك بأمور:

١– وضوح الخط.

٢– رسمه على ضوء قواعد الرسم "الإملاء" وفي هذا مؤلفات كثيرة من أهمها:

كتاب الإملاء لحسين والي [١].

قواعد الإملاء لعبد السلام محمد هارون [٢].

المفرد العلم للهاشمي، رحمهم الله تعالى [٣].

٣– النقط للمعجم والإهمال للمهمل [٤].

٤– الشكل لما يشكل.

٥– تثبيت علامات الترقيم في غير آية أو حديث [٥].

(يتبع)

***

[١] طبع ثم صور عام ١٤٠٥هـ بيروت، دار القلم.

[٢] طبع الخانجي بمصر عام ١٣٩٩هـ، الرابعة.

[٣] الطبعة: ٢٢، المكتبة البخارية الكبرى بمصر.

[٤] لأن الترك يؤدي إلى الاشتباه.

[٥] الترقيم وعلاماته، أحمد زكي باشا، طبع عام ١٣٣٠هـ.

من أخبار الجامعة

اجتماع المجلس الإداري للجامعة السلفية، بنارس

عقد المجلس الإداري للجامعة السلفية اجتماعه السنوي في الساعة العاشرة صباحا من يوم الأحد: ٢١/١٠/١٤٣٣هـ = ٩/٩/٢٠١٢م بقاعة الاجتماعات بالجامعة، برئاسة فضيلة الشيخ شاهد جنيد بن محمد فاروق السلفي، رئيس الجامعة السلفية، وأدار الاجتماع فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد السلفي، الأمين العام للجامعة، وحضره أعضاء مجلس الجامعة ومندوبون آخرون من مختلف ولايات الهند ومناطقها، إلى جانب أعضاء المجلس من مدينة بنارس، وعدد من المدرسين ومسؤولي الأقسام المختلفة.

بدأ الأمين العام هذا الاجتماع بالحمد والصلاة، وقدم الشكر والامتنان إلى جميع الحضور على تكرمهم بتلبية دعوة الجامعة وتجشمهم مشاق السفر. ثم تحدث عن بعض مناقب فضيلة الدكتور جاويد أعظم بن عبد العظيم — رحمه الله — الرئيس السابق للجامعة، وفضيلة الشيخ محمد حنيف المدني — رحمه الله — الأستاذ السابق للجامعة، وفضيلة الشيخ عبد الحكيم مجاز الأعظمي الرحماني المئوي من خريجي مدرسة دار الحديث الرحمانية دهلي. وهؤلاء فارقوا الحياة في الأشهر السابقة بعد الاجتماع السابق، كما جرى ذكر بعض الشخصيات الإسلامية العالمية التي وافتها المنية خلال الفترة السابقة، منها: شخصية سمو الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود — رحمه الله — ولي العهد ووزير الداخلية بالمملكة العربية السعودية سابقا. ودعا الحضور لجميع هؤلاء المتوفين بالرحمة والمغفرة والجنة.

ثم قدم الأمين العام أمام الحضور قائمة الموضوعات المدرجة في جدول الأعمال، وحسب البند الأول قام فضيلة الشيخ عبد الله سعود بعرض قرارات الاجتماع السابق على الحاضرين، وبعد إدخال تعديل يسير على طلب من الحضور قام فضيلة الرئيس الشيخ شاهد جنيد بالتوقيع عليها، ثم قدم فضيلة الشيخ نعيم الدين المدني — شيخ الجامعة — تقرير قسم التعليم والتربية، وقد شمل هذا التقرير الاختبارات وعدد المشاركين فيها، وعدد الخريجين، وعدد الطلبة في السنة الحالية، ونظام التعليم والتربية، ونظام المدارس التابعة للجامعة، وندوة

الطلبة، وحفلة الخطابة، ولجنة الثقافة، كما تضمن التقرير معلومات عن كلية أمهات المؤمنين التابعة للجامعة، ومدرسة المنار للعلوم العصرية، التابعة للجامعة.

وبعد ذلك تفضل فضيلة الشيخ عبد الله سعود، الأمين العام للجامعة بإلقاء تقريره الشامل لعدد من الجهات البنائية والتعليمية والعلمية. فذكر في تقريره الجهود التي بذلت للرقي بمستوى التعليم والتربية في الجامعة وأقسامها وفروعها المختلفة، وقد تضمن التقرير معلومات عن إدارة البحوث الإسلامية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وعما تم إنجازه بإشراف هذه الإدارة، والكتب التي طبعت خلال الفترة السابقة، والكتب التي سيتم طبعها قريبا، وكذلك الجهود التي تبذل لتطوير إدارة البحوث وتفعيل أنشطتها، وقد تطرق التقرير إلى قسم الإفتاء، وإلى قسم الدعوة والإرشاد، وإلى مجلة صوت الأمة العربية، ومجلة محدث الأردية، وإلى النشاط الرياضي في ملعب الجامعة، وإلى الأعمال البنائية المستمرة في المبنى المركزي وفي المبنى الجديد الخاص لطلاب مرحلتي المتوسطة والثانوية. وقد ألقى الأمين العام أضواء كافية على معظم النواحي المتعلقة بالجامعة مثل التعليم والتربية والترجمة والتأليف والمناهج والدعوة والإرشاد، والمشاريع المستقبلية.

وبعد ذلك فتح المجال أمام الحضور للمناقشة وتقديم المقترحات، فوجه عدد من المشاركين أسئلتهم، فأجاب عليها فضيلة الأمين العام كما سجل المقترحات المقدمة من الحضور.

ثم جاء دور انتخاب أعضاء المجلس الإداري حسب البند الثالث من جدول أعمال الاجتماع، فأفاد فضيلة الأمين العام بأنه — حسب الدستور الأساسي للجامعة — يتم انتخاب ثلث أعضاء المجلس من قبل جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند، وهيئة "انجمن رحمانية" تقوم بترشيح ثلثي الأعضاء. ومجموع عدد الأعضاء هو أحد وعشرون عضوا. وقد قامت هيئة "انجمن رحمانيه" بسد الفراغ الناشيء من وفاة الدكتور جاويد أعظم بترشيح الأستاذ نامق أديب عضوا في مجلس الجامعة، وكذلك ترشيح الأستاذ المحامي نور الهدى عضوا في مجلس الجامعة مكان الأستاذ أنصار أحمد الذي يشتكي بتدهور حالته الصحية.

هذا وقد تم اتفاق جميع الحاضرين على انتخاب فضيلة الشيخ شاهد جنيد محمد فاروق لمنصب رئيس الجامعة خلفا للدكتور الراحل جاويد أعظم رحمه الله. وانتخب الأستاذ

الحاج عبد الرشيد –الذي يتمتع بعضوية مجلس الجامعة منذ فترة طويلة –لمنصب النائب الثاني لرئيس الجامعة. كما تم الاتفاق على إبقاء جميع المسؤولين على مناصبهم كالسابق. وفيما يلي بيان أسمائهم مع مناصبهم:

١	فضيلة الشيخ شاهد جنيد بن محمد فاروق	من مدينة بنارس	رئيس الجامعة
٢	فضيلة الشيخ مظهر أحسن الأزهري	من مدينة مئو	نائب الرئيس
٣	سعادة الأستاذ الحاج عبد الرشيد	من مدينة ماليركوتله (فنجاب)	نائب الرئيس
٤	فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد	من مدينة بنارس	الأمين العام
٥	فضيلة الشيخ عبد الله الزبيري	من مدينة بنارس	نائب الأمين العام
٦	سعادة الأستاذ أرشد الوزيري	من مدينة بهدوهي	نائب الأمين العام
٧	سعادة الأستاذ عبد اللطيف عبد الأحد	من مدينة بنارس	أمين الصندوق

ثم قدم الأمين العام- حسب البند الرابع من جدول الاجتماع –التقرير المشتمل على الواردات والمصاريف المالية. وكان هذا التقرير مشتملا على تفاصيل الواردات والمصاريف للسنة المالية الماضية، وعلى الميزانية المقترحة للسنة المالية الجديدة، وبعد البحث والمناقشة وإدخال بعض التعديلات على الميزانية التقديرية وافق المشاركون عليها.

واقترح عدد من المشاركين بشراء سيارة حديثة للجامعة لاستعمالها لأغراض الدعوة والإرشاد، كما أكدوا على تركيب أجهزة جديدة لتكرير المياه في الحرم الجامعي. وقدم بعض الحضور اقتراحا يخص الإجراءات المتعلقة بقبول الطلاب الجدد. وقد تم تسجيل جميع الاقتراحات والتوصيات ليتسنى العمل بموجبها في الوقت المناسب.

وفي نهاية الاجتماع قدم فضيلة رئيس الجامعة الشكر والتقدير إلى جميع الحاضرين على مشاركتهم في الاجتماع وإدلائهم بآرائهم ومقترحاتهم لتحسين خدمات الجامعة وللرقي بمستوى التعليم والتربية فيها.

هذا، وقد شارك في هذا الاجتماع عدد من الشخصيات الكبيرة من مختلف مناطق الهند، منهم: فضيلة الشيخ مظهر أحسن الأزهري (من مدينة مئو) وفضيلة الشيخ أصغر علي إمام مهدي (من مدينة دهلي) وفضيلة الشيخ عبد الوهاب الخلجي (من مدينة دهلي) وفضيلة الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد (من مدينة دهلي) وفضيلة الشيخ عبد السلام السلفي (من مدينة ممبائي) وفضيلة الشيخ سعيد أحمد السلفي (من مدينة پونا) وفضيلة الشيخ سليمان

الميرتي (من مدينة ميرت) وسعادة الشيخ الحاج عبد الرشيد (من مدينة ماليركوتله، بنجاب) وسعادة الأستاذ أرشد الوزيري (من مدينة بهدوهي) وسعادة الأستاذ تنوير أحمد (من مدينة بهدوهي).

أما المشاركون من مدينة بنارس فمنهم: فضيلة الشيخ شاهد جنيد بن محمد فاروق، وفضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد، وسعادة الأستاذ محمد سالم بن محمد فاروق، وسعادة الأستاذ عبد اللطيف بن عبد الأحد، وفضيلة الشيخ أحسن جميل بن عبد البصير، وغيرهم.

ومن المشاركين من هيئة التدريس ومسؤولي الأقسام المختلفة بالجامعة: فضيلة الشيخ نعيم الدين المدني شيخ الجامعة، وفضيلة الشيخ محمد مستقيم السلفي مسؤول سكن الطلاب وشيخ الجامعة سابقا، وفضيلة الشيخ محمد يونس المدني شيخ الجامعة سابقا ومسؤول الدعوة والإرشاد، وفضيلة الشيخ عبد الكبير المباركفوري مسؤول لجنة الحاق المدارس، وفضيلة الشيخ سعيد ميسور المدني مدير إدارة القبول والتسجيل والامتحانات، وكاتب هذه السطور أسعد أعظمي.

وقد تناول الجميع الغداء على مائدة الجامعة، ثم انصرفوا إلى جهاتهم حسب حجوزاتهم.

يجدر بالذكر أن فضيلة الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد عقد لقاء مع الطلاب في مسجد الجامعة أكثر من مرة، فتحدث معهم حول آداب طلب العلم والتلقي، وحثهم على الجد والاجتهاد في الطلب، وعلى اغتنام الوقت، والاستشعار بنعمة الله عليهم، وفتح أمامهم المجال للأسئلة والاستفسارات، وكان لفضيلته اجتماعات مع مدرسي الجامعة أيضا، واجتماعات مع فضيلة الشيخ عبد الله سعود، الأمين العام للجامعة. جزى الله جميع هؤلاء خيرا، وبارك في جهودهم، وتقبل مساعيهم التي يبذلونها للجامعة خاصة، وللإسلام والمسلمين عامة.

(أسعد أعظمي)

***